الفصل الرابع

الحياة السياسية في حمص

أولاً: موقف الحمصيين من الأحداث السياسية في عهد عثمان بن عفان حتى قيام الدولة الأموية

ثانياً: موقف الحمصيين من الحركات والتمردات من خلافة عثمان وحتى نهاية الحقبة السفيانية.

أ. موقف الحمصيين من المنفيين من الكوفة إلى حمص.

ب. موقف الحمصيين من حركة حجر بن عدي.

جـ. موقف الحمصيين من مسلم بن عقيل والحسن بن علي.

ثالثاً: موقف الحمصيين من ولاية العهد السفيانية.

رابعاً: موقف الحمصيين من وصول المروانيين إلى الخلافة.

خامساً: موقف الحمصيين من الحركات الثورية في الحقبة المروانية.

١- حركة التوابين
٢- حركة المختار الثقفي
٣- حركة الأشدق
٤- حركة الجراجمة
٥- حركة ابن الأشعث
٦- حركة يزيد بن المهلب
٧- حركة القدريين
٨- حركة أعراب البادية

سادساً: موقف المروانيين من والي حمص خالد بن يزيد بن معاوية

سابعاً: موقف الحمصيين من ولاية العهد المروانية حتى سقوط الدولة الأموية

obeikandl.com

مقدمة في الحياة السياسية في حمص

شاركت حمص في الحياة السياسية منذ الفتح الإسلامي، وحتى نهاية الدولة الأموية، إلا أن مشاركتها الفعلية بدأت في أعقاب وفاة عثمان بن عفان، الأمر الذي أعطاها فرصة للمشاركة في كافة الأحداث، التي عصفت في الدولة الأموية فيما بعد.

وكان لموقع حمص القريب من العراق، أكبر الأثر في مشاركتها في إخضاع كثير من الحركات السياسية المناوئة للدولة الإسلامية في العراق خاصة، وكذلك مشاركتها في غيرها من الأمصار.

ومما تجدر الإشارة إليه أن موقف والي حمص السياسي كان انعكاساً لموقف جميع القبائل الحمصية فهو يأتمر بأمرهم، وفي حال خروجه عن رأيهم، كانوا يطالبون بعزله، وقد يدفعهم الأمر أحياناً إلى عصيانه أو قتله، مما دفع بعض الخلفاء لاستشارتهم فيمن يولى شؤونهم، كما سيمر لاحقاً. وفيما يلي عرض لأبرز المواقف السياسية الحمصية منذ الفتح وحتى نهاية الدولة الأموية.

أولاً: موقف الحمصيين من الأحداث السياسية في عهد عثمان بن عفان حتى قيام الدولة الأموية.

كان لحمص دور مؤثر وواضح في سياسة الدولة الإسلامية، منذ الفتح وحتى سقوط الدولة الأموية، فقد كان الحمصيون من أنصار معاوية بن أبي سفيان، الذي أصبح منذ خلافة عثمان والياً على الشام كلها، وبيده الأجناد الأربعة: (دمشق، وحمص، والأردن، وفلسطين)، فهو بذلك يمتلك جيشاً قوياً وثقلاً سياسياً كبيراً، وبالإضافة لذلك حرص معاوية على كسب ولاء هذه الأجناد، "فكان مصيباً في سياسة الأجناد، وفي ترتيب الأشراف، وتقريب العلماء"[1].

---

١ ـ الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١، ص٣٨٤. غرايبة (طلال صالح): الحياة السياسية في بلاد الشام

وقد أدرك معاوية بثاقب نظرته السياسية منذ أن كان والياً على بلاد الشام أنه بحاجة إلى تأييد قبائل الشام ومساندتها له، فأصهر إلى قبيلة كلب اليمانية، المقيمة في حمص، وهي يومئذٍ أقوى قبائل الشام، وأكثرها عدداً، فتزوج من ميسون بنت بحدل الكلبية[1]، التي أنجبت يزيد، وتزوج من نائلة بنت عمارة الكلبية، وكتوة بنت قرظة الكلبية[2].

وكان لهذه المصاهرة أعظم الأثر في وقوف قبيلة كلب إلى جانب بني أمية إبان صراعها مع مخاليفها[3]. كما أن معاوية حرص على استمالة القبائل الأخرى بإغداق الأموال عليهم، وباستخدام أعداد منهم في الولايات وقيادة الجند، وغيرها من الأمور التي تعلي شأنه، وترضي تلك القبائل.

إن تسلّم معاوية بن أبي سفيان لمنصب الخلافة يتضح من خلال خلافة عثمان، والأحداث التي انتهت بمقتله، وذلك لأن الاضطراب والفوضى السياسية عمّت الدولة الإسلامية، في أعقاب وفاته[4]، ولا يوجد هنا مجال للبحث في الفتنة

في خلافة معاوية بن أبي سفيان، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٧٩م، ص٣٣.

١ ـ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٧٨. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٢٩.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٢٩.

٣ ـ النص (محمد إحسان): سياسة الدولة الأموية إزاء قبائل الجزيرة وأثرها، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد٨٥ ـ ٨٦، آذار، حزيران، ٢٠٠٤م، ص١١٣. عبد اللطيف (زهير): نظرية الأمويين السياسية في الخلافة والحكم، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٨٨م، ص٣١٤.

٤ ـ فروي " أن معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان، وذللاله صعبة". مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها . رحمهم الله . والحروب الواقعة بها بينهم، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصرية، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨١م،ص١٠٨. ويستفاد من هذه الرواية أن معاوية حظي بمكانة مهمة زمن الخليفتين عمر ثم عثمان، الأمر الذي مكنه من المطالبة بالخلافة لنفسه، فقد شارك في فتح الشام، وتولى إدارة الشام لعمر ثم لعثمان، وبذلك استطاع أن يجعل له مركزاً قوياً في الشام بعد أن ضمن تأييد القبائل له بإغداق الأموال عليهم. عثامنة (محمد سعيد):

وأحداثها وتفاصيلها[1]، بل يجب رسم صورة موجزة عن خط سيرها، وبيان موقف الحمصيين من تلك الأحداث.

لقد انتهى حصار المتمردين لعثمان بن عفان يوم الدار إلى استشهاده[2]، بالرغم من بعض المحاولات اليائسة لإنقاذه[3].

وأخذت مراكز القوى السياسية بالظهور إثر استشهاد الخليفة عثمان بن عفان سنة ٣٥هـ/٦٥٥م وهذه المراكز لم تكن أقل شأناً من معاوية بن أبي سفيان، فهي تلك الشخصيات التي كان لها شأن يؤهلها لأن تكون مرشحة للخلافة، لما تتمتع به من صفات تؤهلها لذلك، ومنهم طلحة والزبير، اللذان بادرا إلى التحالف مع

الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفان، دراسة في العوامل، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٦م، ص٤-١٢٧.

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر: جعيط (هشام): الفتنة جدلية بين الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م، ص٥٥-٣١٣.

٢ ـ هو المكان الذي حوصر فيه الخليفة عثمان في منزله واجتمع المتمردون لقتله، ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٣٨. المصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٢٥. ابن قتيبة، المعارف، ص١٩٥. البلاذري، أنساب، ج٥، ص٧٣. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٣٥. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٤١. ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٣، ص١٣٨٨. ابن تغري ـ بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص١٦١.

٣ ـ فقد خرج مروان بن الحكم وتكلم مع المحاصرين للخليفة ووبخهم وحثهم على المغادرة، وحذرهم من موقفهم، فروى المدائني أن مروان قال: "جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا". الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٦٢. ويستفاد من هذه الرواية أن مروان بن الحكم كان عند عثمان بن عفان يوم الدار، عندما اقتحم الناس منزل الخليفة، ووثبوا عليه، لأن المتمردين كانوا يريدون مروان لاتهامه بتزوير الكتاب لأهل مصر. البلاذري، أنساب، ج٥، ص٦٥-٦٨. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٧٥. السيوطي، تاريخ، ص٢٥٥. وقد رفض الخليفة عثمان تسليم مروان، لأن في تسليمه محاكمة له دون قضاء، والشيء المهم أن الرواية تصور ما كان في نفس مروان من التطلع للخلافة، أو على الأقل حرصه على عدم خروجها من بني أمية، وبالوقت نفسه يحذر المحاصرين أنه في حالة قتل الخليفة، فإن هناك أميراً قوياً سيقتص له. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٣. العزام (صبحي): خلافة مروان بن الحكم، (٦٤ ـ ٦٥هـ/ ٦٨٣ـ ٦٨٤م)، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٦م، ٥٥-٦٧.

السيدة عائشة ـ رضي الله عنهما ـ في الجمل لمواجهة علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وانتهى الأمر بهزيمة طلحة والزبير[1].

والملفت للنظر أن معاوية والي الشام لم يحدد رأيه السياسي إزاء تحالف الجمل، ولعله أراد من ذلك انتظار ما سيؤول إليه الأمر في الجمل، ثم يستغل مركزه القوي في الشام، جراء اكتسابه ثقة وتأييد قبائل الشام، ووقوفهم إلى جانبه في نزاعه مع علي بن أبي طالب، وليس أدل على تماسك الشام لمعاوية مما قيل، إنه عندما نقم المتمردون على الخليفة عثمان، كان معاوية قد طلب من الخليفة أن يخرج معه إلى الشام قائلاً: " فإن أهل الشام على الأمر لم يزالوا"[2]، كما كان من الطبيعي أن يكوّن معاوية جيشاً نظامياً جيد الإعداد، وهو الجيش الذي استخدمه في مواجهة مناوئيه[3] من أجناد الشام الأربعة، وأن هذا الجيش يستطيع حماية الخليفة عثمان إذا قدم إلى الشام.

---

١ ـ خليفة، تاريخ، ص١٠٨ـ١١١. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٥٣ـ٥٤٠. ابن أعثم، الفتوح، مج١، ص٩١. زكار (سهيل)، خربوطلي (شكران): تاريخ الدولة العربية الإسلامية الأولى (عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، جامعة دمشق، ط٢، ٢٠٠٧م، ص٢٧٨.

٢ ـ وكان ذلك على أثر نقمة الناس على الخليفة عثمان الذي كاتب قضاته وطلب منهم المشورة، فكان موقف معاوية والي الشام: "أشير عليك أن تأمر أمراء أجنادك فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، وأكفيك أنا أهل الشام". فأما أهل الشام فأطوع الناس لمرشدهم وأعصاهم لمغويهم. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٥،٣٢٩.

٣ ـ كليفورد (أ. بوزورث): الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي دراسة في التاريخ والأنساب، ترجمة حسين على اللبودي، مراجعة سليمان إبراهيم العسكري، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، ١٩٩٥م، ص٢١. فقد أصبح معاوية أعظم العمال في عهد عثمان بن عفان خطراً وأعلاهم شأناً، حيث اجتمعت له الأجناد الأربعة، وأصبح بحكم مركزه الجغرافي قوياً إلى حد غير مألوف وقد وقعت ولايته بين الحجاز وفيه أمير المؤمنين، ومركز الخلافة، ومصر، وهي الولاية التي لا تكاد تدانى قوة وبأساً وإن زادت عليها خصباً وثراء وهو على ساحل بحر الروم، وعلى حدود الروم أيضاً يستطيع أن يستمد الخليفة ويمده، وأن يمد مصر ويستمدها، وأمامه بابان عظيمان من أبواب الجهاد، البحر من جهة، وثغور الروم من جهة أخرى فبإمكانه أن يرفع شان الدولة و يرفع شأنه،

وقيل في مقتل عثمان أن معاوية كان قد عرض على عثمان أن يوفد له جنداً لحمايته غير أن الخليفة رفض ذلك[1]، وأثناء الحصار في يوم الدار، كان معاوية قد جهز جيشاً بقيادة والي حمص حبيب بن مسلمة لنصرة عثمان، غير أن الوقت لم يحالف الجيش، ولم يمكنه من إنقاذ الخليفة[2]، كما أن والي حمص الأسبق عبادة بن الصامت كان ممن يدعون أهل المدينة لمناصرة عثمان بن عفان[3].غير أن ذلك لم يحل دون قتل الخليفة. كما أن موقف النعمان بن بشير الأنصاري والي حمص كان واضحاً في رفض بيعة علي بن أبي طالب بالخلافة[4]، وخرج من المدينة إلى الشام ومعه قميص عثمان الذي قتل فيه، مخضباً بالدماء، وبأصابع زوجه نائلة بنت الفرافضة، والتي قيل إنها دفعت ذلك إلى النعمان و طلبت منه أن يرسله إلى معاوية[5]، فوضع معاوية القميص على المنبر، وكتب بالخبر إلى الأجناد، وحزن الناس وبكوا سنة وهو على المنبر، والأصابع معلقة به، وآلى الرجال من أهل الشام ألا يأتوا النساء، ولا يمسهم الماء للغسل إلا من إحتلام، ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمان، ومن ساعدهم على ذلك، أو أن يموتوا فعلقوا القميص على منبر المسجد لمدة عام[6].

وكان ممن أرسل معاوية إلى علي بن أبي طالب، حبيب بن مسلمة الفهري،

وأن يعلي كلمة الإسلام، ويبني لنفسه مجداً لا يستطيع أحد من العمال أن يطاله. حسين (طه): الفتنة الكبرى عثمان، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م، ص١١٨.

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٤٥.

٢ ـ البلاذري، فتوح، ص٢٠٧. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٥٢. وقيل إن معاوية بعث ألف فارس وقيل أربعة آلاف فارس غير أن هذه الأعداد وصلت متأخرة فعادت. البلاذري، أنساب، ج٥، ص٧٢.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٥٢.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٤٣٠.

٥ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٦٩.

٦ ـ وفي هذه الظروف قدم جرير بن عبد الله، على علي بن أبي طالب فأخبره خبر معاوية، واجتماع أهل الشام معه على قتاله، وأنهم يبكون على عثمان، ويقولون: إن علياً قتله، وآوى قتلته، وأنهم لا ينتهون عنه حتى يقتلهم أو يقتلوه. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٦٢.

وشرحبيل بن السمط الكندي ولاة حمص، للتفاوض مع علي بن أبي طالب، فخاطب حبيب علياً قائلاً: "أما بعد فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان خليفة مهدياً، يعمل بكتاب الله عز وجل..... فادفع لنا قتلة عثمان، إن زعمت أنك لم تقتله، ثم اعتزل أمر الناس فيكون أمرهم شورى بينهم". وكان قول شرحبيل بن السمط موافقاً لقول حبيب: "إني إن كلمتك فلعمري ما كلامي إلا مثل كلام صاحبي"[1].

وتفيد تلك الرواية إن ولاة حمص المدعوين للتفاوض مع علي بن أبي طالب كانوا ينطلقون بلسان معاوية بن أبي سفيان، مظهرين ولاءهم وحرصهم الشديد على الأخذ بالثأر. ولكن هل يجوز لولاة حمص حبيب وشرحبيل أن يطلبوا من علي بن أبي طالب أن يعتزل أمر الناس، وأن يجعل الأمر شورى؟. فإذا صحت تلك الرواية فإنها فقط رسالة من معاوية لعلي يظهر من خلالها تماسك أهل الشام لديه وإظهارهم البيعة لمعاوية، والطلب بالقصاص من القتلة.

فعندما أرسل الخليفة علي بن أبي طالب جرير بن عبد الله إلى معاوية بن أبي سفيان لأخذ البيعة له بالخلافة، كان عمرو بن العاص ممن أشار على معاوية بن أبي سفيان أن يرسل شرحبيل بن السمط الكندي - والي حمص - وأن يبعث معه الرجال الذين يستخدمهم كوسيلة إعلامية لنشر خبر مقتل عثمان، وأن علي بن أبي طالب قد آوى قتلته، وكان جرير كلما رأى أحداً من هؤلاء الرجال، أخبره بمعرفة أهل الشام بأن علي بن أبي طالب ممن أوى قتلته[2]، وبذلك فقد أصبح هناك تصور شامي واضح في ضرورة الأخذ بثأر عثمان.

وقد ظهر دور والي حمص شرحبيل بن السمط الكندي واضحاً في تمسكه بفكرة أن علي بن أبي طالب أوى قتلة عثمان، وبالتالي فقد أظهر الرغبة في المطالبة بدمه، وبمبايعة معاوية.

وقيل إن الذي أشار على معاوية بالبيعة هو والي حمص شرحبيل، وأن معاوية كان متردداً، غير أن معاوية أراد أن يستخدم شرحبيل كرجل دعاية سياسية،

---

١ - الطبري، تاريخ، ج٥، ص٧.

٢ - الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٥٠. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٥٦٢.

لأخذ بيعة أهل الشام، فقد كان شرحبيل رأس أهل الشام آنذاك فعلم معاوية أن أهل الشام مع شرحبيل، فقال لشرحبيل: "إن هذا الذي تهم به لا يصلح إلا برأي العامة ورضاها، فسر في مدائن الشام، فأعلمهم ما نحن عليه من الطلب، بثأر خليفتنا، وبايعهم على النصرة والمعونة"[1].

وليزداد تماسك الشام لمعاوية في أعقاب مقتل الخليفة عثمان، أخذ يستميل أهل الشام عاطفياً، وذلك من خلال صلة قرابته للخليفة عثمان، وأنه ابن عمه، محتجاً بقوله تعالى: " ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً"[2]. فبايع أهل الشام معاوية على الطلب بدم عثمان[3].

فسار شرحبيل يستقرئ مدن الشام، مدينة بعد مدينة مخاطباً إياهم: "أيها الناس، إن علياً آوى قتلة عثمان، وإنه غضب له قوم فلقيهم فقتلهم، وغلب على أرضهم، ولم يبق إلا هذه البلاد، وهو واضع سيفه على عاتقه، وخائض به غمرات الموت حتى يأتيكم، ولا يوجد أحد أقوى على قتله من معاوية، فانهضوا أيها الناس بثأر خليفتكم المظلوم. فأجابه الناس كلهم إلا نفر من أهل حمص نساكاً، فإنهم قالوا: " نلزم بيوتنا ومساجدنا، وأنتم أعلم"[4]. وهذه الرواية تؤكد أن أهل حمص قد اختلفوا مع شرحبيل بين مؤيد له وبين معارض، وقد خاطبه احدهم: "إنه قد فشتِ القالة عن معاوية بقوله إن علياً قتل عثمان، فإن يك فعل فقد بايعه المهاجرون والأنصار وهم الحُكام على الناس، وإن لم يكن فعل فعلى ما يَصدِّق معاوية على علي وهو مَن قد علمت، فلا تهلكن نفسك وقومك"، فأبى شرحبيل إلا أن يسير إلى معاوية، فقدم إليه، فقال: إن جريراً قدم علينا يدعونا إلى بيعة علي، وعلي خير الناس لولا أنه قتل عثمان، وقد حبست عليك نفسي، وإنما أنا رجل من أهل الشام،

---

١ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٥٠. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٩، ص١٣٥.

٢ ـ الإسراء، الآية رقم ٣٣.

٣ ـ المنقري، وقعة صفين، ص٣٢.

٤ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٥٠ـ١٥١. المنقري، وقعة صفين، ص٥٠ـ٥١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٩، ص١٣٥.

أرضى بما رضوا وأكره ما كرهوا، فقال معاوية: أخرج فانظر في ذلك[1].

وقيل إن معاوية كتب إلى شرحبيل بن السمط الكندي، وهو بحمص أن يبايع له بحمص كما بايع أهل الشام، فلما قرأ شرحبيل كتاب معاوية دعا أناساً من أشراف أهل حمص، فقال لهم: "ليس من قتل عثمان بأعظم جرماً ممن يبايع لمعاوية أميراً وهذه سقطة، ولكنا نبايع له بالخلافة، ولا نطلب بدم عثمان مع غير خليفة"، فبايع لمعاوية بالخلافة هو وأهل حمص، ثم كتب إلى معاوية: أما بعد: "فإنك أخطأت خطأً عظيماً حيث كتبت إلي أن أبايع لك بالإمرة، وأنك تريد أن تطلب بدم الخليفة المظلوم، وأنت غير خليفة، وقد بايعت ومن قبلي لك بالخلافة، فلما قرأ معاوية كتابه سره ذلك،ودعا الناس، وصعد المنبر، وأخبرهم بما قال شرحبيل، ودعاهم إلى بيعته بالخلافة، فأجابوه، ولم يتخلف منهم أحد[2].

وبذلك فقد كان لشرحبيل دور في التحريض على المطالبة بدم عثمان، وقد كان أهل الشام على طاعة معاوية، بالرغم من أن هناك عدداً من أهل حمص، من الزهاد والنساك ومعتزلي السياسة ممن آثروا الانقطاع للعبادة، وعدم الدخول في غمار الفتنة، وانتظار ما سيؤول إليه الأمر. إلا أن والي حمص وغالبية سكانها كانوا يؤيدون وصوله للخلافة والاقتصاص من القتلة.

ودارت المراسلات بين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان، بشأن الخليفة المقتول، واختلف الجانبان حول كيفية الاقتصاص من قتلة عثمان، واشتدت الأمور، وفشلت جميع المفاوضات لينتهي الأمر إلى القتال في صفين[3].

وتصف بعض الروايات موقف أهل حمص، بأنهم أشد المقاتلين ضراوة وبأساً على علي بن أبي طالب في صفين[4]،ولا يختلف موقف الحمصيين في صفين عن

---

١ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٩، ص١٣٤.

٢ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص٧٠.

٣ ـ صفين: موقع بالقرب من الرقة، على شاطئ الفرات الغربي، بين الرقة وبالس. الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٤١٤.

٤ ـ الاسكافي (محمد بن عبد الله الخطيب)، (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م): لطف التدبير، حققه وعلق عليه أحمد عبد الباقي، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٤م، ص٥٠. حسين (خليل): التطورات السياسية

موقف أجناد الشام الأخرى في القتال، وليس أدل على ذلك من وجود تقسيمات قبلية من جانب علي بن أبي طالب خلال القتال في صفين، فكل قبيلة عراقية تقابل أختها الشامية، إلا أن تكون قبيلة ليس منها بالشام أحد فيصرفها إلى قبيلة أخرى بالشام ليس منهم بالعراق أحد، كقبيلة بجيلة، حيث كان عددهم قليلاً في الشام فصرف لهم لخم[1].

وربما أن مثل هذه التقسيمات القبلية في صفين كانت من الأمور التي تقوي العزائم لدى القبائل في القتال، وتستعيد في ذاكرتهم ما كان يسود من قتال بين العرب في حقبة قبل الإسلام.

وكانت ظروف القتال تقتضي من الطرفين (معاوية، وعلي) أن يتخذا التدابير العسكرية التي تمكنهم من الانتصار، وكان ترتيب معاوية لأهل حمص ترتيباً قبلياً أيضاً، حيث كان على ميمنة أهل حمص ذو الكلاع الحميري، ومعه أربعة آلاف فارس، قد تبايعوا على الموت، وكان هدفهم قبيلة ربيعة[2]، وكان ذو الكلاع ممن قتل في هذه المعركة[3]، ومعه عبيد الله بن عمر بن الخطاب[4]، وكان على رجالة حمص حوشب ذا ظليم، وهو من عظماء أهل الشام وفرسانهم، وبالرغم من بلائه في صفين إلا أن سليمان بن صرد الخزاعي قد قتله[5]، وقتل أيضاً من حمص حابس بن سعد الطائي[6]. وكان حبيب بن مسلمة على الميسرة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد بيده اللواء الأعظم، إلى جانب معاوية[7]. وكان قائد

للدولة العربية الإسلامية خلال المرحلة الانتقالية من عهد الراشدين وإلى عهد الأمويين، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٧، السنة ١٩، ١٩٩٣م، ص١٧٩.

١ ـ خليفة، تاريخ، ص١١٥. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٤. ابن أعثم، الفتوح، مج١، ص١٣٦ وما بعدها.

٢ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٦٥. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١١.

٣ ـ خليفة، تاريخ، ص١١٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٦٦. زكار وخربوطلي، تاريخ الدولة العربية، ص٢٨٣ ـ ٢٨٥.

٤ ـ خليفة، تاريخ، ص١١٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٦.

٥ ـ خليفة، تاريخ، ص١١٧. الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٧٢.

٦ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩٥، ص١٢٧.

٧ ـ خليفة، تاريخ، ص١١٨. الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٦١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١١.

قبيلة قيس الحمصية هلال بن هبيرة وعلى قضاعة حمص عباد بن زياد، وعلى كندة حمص يزيد بن هبيرة[1].

ولعل ما أغفله المؤرخون حول هذه الوقفة البطولية من أهل حمص لجانب معاوية في القتال ضد علي بن أبي طالب، في صفين هو الموقع الجغرافي لجند حمص، الذي يمثل المكان الأقرب لصفين مما سواه من الأجناد، ولذلك كان من الطبيعي أن يأتي المدد من المكان الأقرب، ممثلاً بحمص، وكان ذلك الموقف يمثل اختباراً من الخليفة معاوية للحمصيين، أرادوا إثبات إخلاصهم ووفائهم لقائدهم ووالييهم معاوية آنذاك، وإثبات أهمية جندهم العسكري، للاعتماد عليهم فيما تحتاجه الدولة لمقارعة الرومان.

وكان القتال في صفين بين مد وجزر، الأمر الذي كان يدفع معاوية إلى تحفيز الهمم، وتقوية العزيمة، فقد استنجد بالحمصيين قائلاً: "أين الجند المقدام"؟. مما أثار شجاعتهم وخرجوا بقيادة أبو الأعور السلمي[2]، لمواصلة القتال، ويقابل علي بن أبي طالب ذلك البأس بالإيعاز إلى همذان قائلاً: "أكفني أهل حمص، فإني لم ألق من أحد ما لقيت منهم"[3].

غير أن هذا التحامل على موقف الحمصيين قد يزول إذا عُلِمَ أن تقسيمات وتنظيمات معاوية يوم صفين لم تقتصر على حمص وإنما على كل الشام، وبالترتيب نفسه[4]، فقد كان تقسيم الأجناد تقسيماً قبلياً وكل قبيلة لها قائدها

---

١ ـ ولم تقتصر قيادة القبائل على حمص وحدها، بل شملت كافة الأجناد وقادتها. الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٦١. وكان معاوية قد كافأ تلك القبائل الحمصية في أعقاب صفين بأن أقطعهم الإقطاعات والمدن، ومثال ذلك، أن معاوية أقطع قضاعة حمص لبأسهم في صفين، بعض المناطق في معرة النعمان وأرض قنسرين. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١١، ص٣٨١. ابن العديم، بغية الطلب، ج٣، ص١٤٩٦.

٢ ـ المنقري، وقعة صفين، ص١٦٧.

٣ ـ المنقري، وقعة صفين، ص٢٠٦. ابن العديم، بغية الطلب، ج٦، ص٢٩٨٩. وكان معاوية يحث جنده على القتال في صفين قائلاً: "من طلب عظيماً (الخلافة) خاطر بعظيمه (الجيش). الثعالبي، التمثيل والمحاضرة، ص٤٠.

٤ ـ فقد استعمل معاوية على الخيل عبد الله بن عمرو بن العاص وعلى الرجالة مسلم بن عقبة، وعلى

ولها أختها من قبائل العراق، وتمثل ندها في المعركة[1]، ثم أين هي بطولة الحمصيين في ظل تقهقر جبهة معاوية؟.

وباشتداد القتال بدأت كفة معاوية بالتراجع، فما كان من أصحاب معاوية إلا أن رفعوا المصاحف على السهام، وطلبوا حكم القرآن بينهم[2]، فكان من الطبيعي أن يشارك قادة القتال الحمصيون كشهود على وثيقة التحكيم، فكان منهم حبيب بن مسلمة، وأبو الأعور السُّلمي، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن ذي الكلاع، وثمامة بن حوشب[3].

وبإخفاق التحكيم وجه معاوية سنة ٣٩هـ/٦٥٩م، النعمان بن بشير في ألفي رجل إلى عين التمر، وبها مسلحة لعلي بن أبي طالب، واستطاع النعمان بن بشير من خلال بعض المناجزات أن يقتل عدداً كبيراً من مسلحة علي بن أبي طالب، غير انه خشي أن يأتي المدد لمسلحة علي فانهزم وعاد إلى الشام[4].

وشهدت سنة ٣٩هـ، استشهاد علي بن أبي طالب[5]، ثم تنازل الحسن بن علي بن

الميمنة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، واستعمل على أهل الشام الضحاك بن قيس، وعلى أهل الأردن سفيان بن عمرووعلى أهل فلسطين مسلمة بن خالد، وعلى رجالة دمشق بسر بن أبي أرطأة، وعلى رجالة قنسرين طريف بن حابس، وعلى رجالة الأردن عبد الرحمن القيني، وعلى رجالة فلسطين الحارث بن خالد الأزدي، وعلى قيس دمشق همام بن قبيصة، وعلى قضاعة دمشق حسان بن بحدل، وعلى كندة دمشق عبد الله بن جون السكسكي.... الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٦١.

١ ـ فقد أمر على كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام، إلا أن تكون قبيلة ليس منها. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٤.

٢ ـ فأصبح أهل الشام قد نشروا مصاحفهم، ودعوا إلى ما فيها، فوافقوهم على حكم القرآن، فاختار أهل العراق أبا موسى الأشعري، وأختار أهل الشام عمرو بن العاص، فتفرق الفريقان حين حكم الحكمان، وانتهى التحكيم بخدعة عمرو بن العاص، وأخفق التحكيم. خليفة، تاريخ، ص١١٥. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٧.

٣ ـ المنقري، وقعة صفين، ص٥٠٧. الدينوري، الأخبار الطوال، ص١٧٩. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤.

٤ ـ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص١٩٥. الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٣٣.

٥ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٤٣ـ١٥٢.

http:www. Damascus – online. Com/ Arabic/ se – a / history / muawalyah . htm, p١.

أبي طالب عن الخلافة[1]، وعلا شأن معاوية بن أبي سفيان، وبويع بالخلافة في عام الجماعة سنة ٤١هـ/ ٦٦١م.

وبعد مبايعة أهل الشام بالخلافة، كان من الأمور التي على معاوية حسمها مصر، فدعا بطانته وكان فيهم ولاة حمص حبيب بن مسلمة، وعبد الرحمن بن خالد ابن الوليد، وشرحبيل بن السمط الكندي، فأخذوا جميعهم برأي عمرو بن العاص، بمكاتبة أهل مصر ممن يؤيد معاوية بمبايعته، وبإخفاق المكاتبة سير معاوية عمرو بن العاص بجيش شامي مكون من ستة آلاف رجل إلى أن خضعت مصر لمعاوية[2].

إن مثل هذه الرواية توحي أن معاوية بدأ يعتمد على ولاته في الأجناد ليس فقط في ضبط الأجناد وإدارتها بل وفي رسم السياسة العامة للدولة، والسماع لمشورتهم، ونصحهم، بعد أن استتب له الأمر.

ومن الإنصاف القول: إن هناك رواة يتحاملون على بعض المواقف السياسية التي اتخذها الحمصيون، أو حتى على أي شخصية يعادونها، ويختلقون لهم الأخبار، أو يمزجونها لتتناسب مع معتقداتهم، وأهوائهم، وقد تنسب مثل هذه الأخبار أحياناً زوراً إلى رواة ثقاة حتى يقبلها الناس.

فالتعاطف أو التعصب لهذا الجانب أو ذاك جعل الإخباريين في القرنين الأول والثاني الهجريين بصفة خاصة يلونون رواياتهم التاريخية، عن الفتنة وما تلاها، وفقاً لأهوائهم ومعتقداتهم، مما جعل استخلاص الأخبار الصحيحة عن غيرها أمراً ليس باليسير، وكان المسلمون آنذاك يحتاجون لمن يوحد صفوفهم ويزيل خلافاتهم الطائفية والمذهبية، تماماً كما هو حالنا اليوم[3].

---

١ ـ وقد آثر الحسن بن علي بن أبي طالب التنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين ومنعاً لاستمرار الفتنة والاضطراب وقيل إن معاوية دفع له مبلغاً من المال، وقيل مات مسموماً. لمزيد من التفاصيل انظر: حسين (خليل): التطورات السياسية للدولة العربية الإسلامية خلال المرحلة الانتقالية من عهد الراشدين وإلى عهد الأمويين، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٧، السنة ١٩، ١٩٩٣م، ص١٧٩-١٩٨.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٩٨-١٠١.

٣ ـ وكانت شخصية عبد الله بن سبا ـ إن صح وجودها ـ تلك الشخصية اليهودية المعادية للإسلام،

وبذلك فإن حمص كانت تساند وتؤيد وتدعم موقف معاوية بن أبي سفيان في الوصول إلى الخلافة، لما كانت تراه في هذا الشخص من كفاءة ومقدرة على الحكم، ولمصاهرته للكلبيين، ولطول حكمه بالشام، وحسن سياسته معهم، وهذا التأييد والمساندة الحمصية حظيت به الحقبة السفيانية، بخلاف المعارضة الحمصية للحقبة المروانية، واقتناص الفرص المناسبة لإعادة حقوق السفيانيين للخلافة.

ثانياً: موقف الحمصيين من الحركات والتمردات من خلافة عثمان بن عفان حتى نهاية الحقبة السفيانية.

أ ـ موقف الحمصيين من المنفيين من الكوفة إلى حمص.

كان أهل الكوفة ممن يكثرون شكايتهم العمال ويطلبون عزلهم، فقد طلبوا من الخليفة عثمان بن عفان عزل الوليد بن عقبة عن الكوفة، فعزله عثمان، وعين بدلاً منه سعيد بن العاص ٣٠هـ/٦٥٠م، وكان لسعيد مجلس يجالس به أهل الكوفة، يتعرف على أحوالهم ويقضي حاجاتهم، فما كان من أهل الكوفة وعلى رأسهم الأشتر النخعي إلا أن أساء للوالي وحتى للخليفة عثمان، وعندما اشتد بأسهم وضاق سعيد بن العاص بهم ذرعاً كتب إلى الخليفة، فأشار الخليفة عثمان يطلب منه أن يرسلهم إلى معاوية بن أبي سفيان في دمشق، فكانت لهم مجالس مع معاوية، طالت فيها المحاورات والمجادلات، حتى أن صعصعة بن صوحان (ممن قدم مع الأشتر) قد علا صوته، على صوت معاوية، ومسك بيده لحية معاوية، فما كان من معاوية إلا أن حبس الأشتر وجماعته ثم عفا عنهم، غير أن ذلك لم يكن ليردعهم فبعد خروج الأشتر من السجن أخذ يجالس أهل دمشق ويحثهم على الفتنة، مما دفع معاوية لأن يكتب إلى الخليفة عثمان يخبره بحالهم فأشار عليه الخليفة أن

والمسلمين، ممن حاول تشويه صورة الخلفاء الأوائل. الهلالي (عبد العزيز صالح): عبد الله بن سبأ دراسة للروايات التاريخية عن دوره في الفتنة، حولية كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية الثامنة، الرسالة٤٥، ١٩٨٧م، ص٤٠.

يعيدهم إلى الكوفة بعدما تعهدوا بعدم الإساءة ثانية، غير أن سعيداً عاد وكتب إلى الخليفة عثمان بسوء حالهم، فأشار عليه بنفيهم إلى حمص[1].

فالأشتر غير راضٍ عن خلافة عثمان، وهو ممن حاول إثارة الفتنة في العراق، فكان عقابه النفي إلى حمص.

فلما وصلوا حمص سمع بخروجهم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان والياً على حمص، من قبل معاوية، فقال لهم: "يا آلة الشيطان، لا مرحباً بكم ولا أهلاً! قد رجع الشيطان محسوراً وانتم بعدُ نشاط، خَسّر الله عبد الرحمن إن لم يؤدبكم، حتى يحسركم، يا معشر من لا أدري أعرب أم عجم، لكي لا تقولوا لي ما يبلغني أنكم تقولون لمعاوية؟. أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجمته العاجمات، أنا ابن فاقئ الردّة، والله لئن بلغني يا صعصعة ابن ذل أن أحداً ممن معي دق انفك ثم أمصّك لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى"[2].

وتؤكد هذه الرواية رفض عبد الرحمن والي حمص لأي فتنة شيطانية كما أنه يهددهم ويتوعدهم، ويستصغر من شأنهم، ويذكرهم بقوة خالد بن الوليد والده، ويبدو أنهم استجابوا لوعيده وتهديده.

وكان عبد الرحمن قد قبل منهم أسفهم وندمهم ورغبتهم بالتوبة، وأرسل الأشتر إلى عثمان معبراً عن ندمه، وطلب الإقامة عند عبد الرحمن في حمص، وذكر فضل والي حمص عليهم[3]، وكان سكّنهم في سواحل حمص وأجرى عليهم رزقاً[4].

وهي وسيلة تهدئة من الجانبين، فوالي حمص يريد أن يستتب الأمن ويحفظ ولايته من أفواههم، والأشتر ورفاقه رأوا إجراءات عبد الرحمن فرصة مؤقتة لهم ريثما تحين الفرصة.

---

١ ـ البلاذري، انساب، ق٤، ج١، ص٥٣٢.

٢ ـ الأسدي (سيف بن عمر)، (ت٢٠٠هـ/ ٨١٥م): الفتنة ووقعة الجمل، جمع وتصنيف أحمد راتب عرموش، دار النفائس، بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٦م، ص٤٠. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٢٢.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٢٢.

٤ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٥٣٢. الطبري، تاريخ، ج٤، ص٣٢٦.

فقد استغل الأشتر وأصحابه فرصة خروج معاوية إلى عثمان بالمدينة عندما طلبه للتشاور حول الثائرين، فعادوا إلى الكوفة دون علم والي حمص[1].

ولا توجد تفاصيل عن الطريقة التي عادوا فيها إلى الكوفة، فأين عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد عنهم؟. لا شك أنهم احتالوا في الهروب ليلاً حتى لا تراهم أعين والي حمص، وربما أن أعراب البادية قد ساعدوهم على ذلك، ثم إن الطريق من تدمر إلى العراق سهل ومألوف.

إن هذه الحادثة توحي أن مدينة حمص كانت منفى للساسة والثوار، ولعل الأمر يحمل بعدين: أولهما؛ إبعادهم عن مركز إقامتهم الكوفة، والثاني؛ عدم السماح لهم ببث دعايتهم في دمشق، وأن توطينهم في ساحل حمص، نقلة كبيرة في المعاش وفي ظروف الحياة خلافاً للكوفة، بالإضافة إلى أن المنفى يُوجد في النفس نوعاً من مراجعة الذات لأفكارها، ومن ثم عدولها.

إن استخدام حمص منفى للثائرين من شأنه أن يكسر شوكتهم، ويكون عبرة لمن يحاول مماثلتهم أو تقليدهم، وكذلك إبعادهم عن العاصمة دمشق.

ب ـ موقف الحمصيين من حركة حجر بن عدي الكندي[2] ٥١هـ /٦٧١م

وعندما كان حجر بن عدي رئيس شيعة الكوفة يظهر لعن معاوية وشتمه، لم يكن ذلك ليرضي المغيرة بن شعبة، ثم زياد بن أبيه، وعندما استشار معاوية في أمره، انتهى الأمر بقتله حجر بن عدي الكندي في دمشق سنة ٥١هـ/٦٧١م[3].

---

١ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٥٣٣.

٢ ـ حجر بن عدي: هو حجر بن عدي بن جبلة بن عدي بن ربيعة بن معاوية الأكرمين، ويكنى بحجر الخير، وكان من أهل الكوفة، وفد على النبي محمد ﷺ وشهد الجمل وصفين مع علي بن أبي طالب، وكان احد شهود التحكيم قتله معاوية عام ٥١هـ/٦٧١م. ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جراده)، (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م): الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة حجر بن عدي أول شهداء آل البيت، حققه وقدم له سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط١، دمشق، ١٤١٠هـ /١٩٨٩م، ص١٣٣.

٣ ـ خليفة، تاريخ، ص١٣١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٥٥.

ويبدو أن معاوية بن أبي سفيان بما رآه من فتن سابقة لحقت بالدولة الإسلامية، أراد التخلص من أية فتنة لاحقة، وإن اقتضى الأمر استخدام السيف، وبذلك يحافظ على ملكه، ويمسك زمام الأمور ويكون عبرة لمن تحدثه نفسه بالثورة.

إن قتل حجر بن عدي لم يكن ليرضي والي حمص، وابن عم حجر مالك بن هبيرة السكوني، الذي طلب من معاوية تسليمه حجر وشفاعته به قبل قتله، وقد اجتمع عنده قومه من كندة والسكون وأناس من اليمن من سكان حمص، وسار القوم إلى معاوية، وعندما بلغهم قتل حجر عادوا إلى منازلهم، ورجع مالك إلى منزله ولم يأت معاوية فأرسل له معاوية مائة ألف درهم، وكان معاوية يرى في غضب مالك: "حرارة يجدها في نفسه". فهو ابن عم حجر، وكان رد معاوية على مالك: "أن أمير المؤمنين لم يمنعه أن يشفّعك في ابن عمك إلا شفقة عليك، وعلى أصحابك أن يعدوا لكم حرباً أخرى، وإن حُجْر بن عدي لو قد بقي خشيت أن يكلفك وأصحابك الشخوص إليه، وأن يكون ذلك من البلاء على المسلمين، ما هو أعظم من قتل حُجْر". فقبلها مالك منه وعاد وقومه إلى معاوية وتراضوا فيما بينهم[1].

إن مثل هذه الرواية، تكشف أن معاوية رجل دولة يريد أن يستتب الأمن في خلافته، في مختلف الأمصار، وإن دعا الأمر إلى قتل بعض الرؤوس حقناً للدماء، ومنعاً للفرقة، كما أن رفضه شفاعة والي حمص وقبائلها، لم يكن معاوية قد تجاهلها وإنما حاول استرضاءهم بالمال، فالسيف والمال من وسائل تثبيت خلافة معاوية وتقويتها. ومما يدل على استخدام حمص كمنفى للساسة وأتباعهم، ما قيل من أن معاوية نفى آمنة بنت سويد زوج عمرو بن الحمق الخزاعي إلى حمص، حتى ماتت فيها، على أثر طلب معاوية حجر وأتباعه ومنهم عمرو بن الحمق الخزاعي[2].

جـ ـ موقف الحمصيين من مسلم بن عقيل والحسين بن علي

وعندما بويع يزيد بن معاوية بالخلافة، امتنع الحسين بن علي عن بيعته وقدم

---

١ ـ ابن الكلبي، نسب معد، ج١، ص١٣٨. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٧٩.

٢ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٢٧٣.

يريد العراق، حيث تواترت عليه كتب أهلها، وترادفت رسلهم، ببيعته على السمع والطاعة له، فأرسل إليهم ابن عمه، مسلم بن عقيل، الذي خذله أهل العراق، ولم يفوا بما كاتبوه به، ووافقوه وانفضوا عن مسلم[1].

وعندما خفي على عبيد الله بن زياد موضع مسلم بن عقيل، استعان بأحد رجال حمص وهو معقل مولى ذي الكلاع، وأمره بالتخفي والقدوم إلى العراق، والاحتيال في البحث عن مسلم بن عقيل وأودعه ثلاثة آلاف درهم، وأخبره أن يعلمهم أنه رجل من حمص، فكان معقل قد ذهب إلى مسلم بن عوسجة، وأظهر له ولاءه وحبه لأهل بيت رسول الله، ورغبته في إعطاء ما يحمل من مال إلى رجل يدعو للحسين بن علي بن أبي طالب فأوصله إلى مسلم بن عقيل بعد أن أعطاه العهود والمواثيق، فكان معقلاً يدخل على مسلمة بن عقيل نهاراً كل يوم، فإذا أمسى دخل على عبيد الله بن زياد يخبره بجميع قصصهم، ويعلمه عن مكان إقامته في دار هانئ ابن عروة[2].

وتكشف هذه الرواية استعانة عبيد الله بن زياد بعيون الحمصيين في البحث عن المتمردين، مما يدل على كثرة ارتيادهم مناطق العراق.

ولما وفد محمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة على عبيد الله سألهما عن هانئ ابن عروة، وعن عدم قدومه عليه، فما كان منهما إلا أن أقنعا هانئ بالمجيء إلى عبيد الله ففعل على خيفة، فلما وصل سأله عبيد الله عن موقفه من مبايعة مسلم بن عقيل وعن إيوائه في منزله، وإعطائه المال، وجمعه الرجال لمبايعته، ثم أمر بإدخال معقلاً أمامه، فاعترف بإيوائه، فما كان من ابن زياد إلا أن قتله، واحتال في قتل مسلم بن عقيل بعده[3].

---

١ ـ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٧٨. ابن دقماق، العقد الثمين، ج١، ص٧٨.

٢ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٨. ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٧٩. وكتب عبد الله بن مسلم إلى يزيد بن معاوية: أما بعد: فإن مسلم بن عقيل قدم الكوفة فبايعه الشيعة للحسين بن علي، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك في عدوك، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو متضعف فولى عبيد الله. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٥٦.

٣ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٨-٢١٩. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٩. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٦٨.

إن رغبة ابن زياد في إرسال أحد موالي حمص وإظهار صفته المكانية تحمل دلالة تؤكد أن أهل حمص كانوا مرغوبي الجانب، ولهم أمان عند أهل الكوفة، خلافاً لما وصفوا به في صفين، ومن ناحية أخرى فإن لموالي حمص مراس في التجسس والخديعة بحكم استخدامهم كعيون في أطراف الرومان من قبل.

وبالرغم من وصول خبر مقتل مسلم بن عقيل للحسين بن علي، تابع الحسين مسيرته إلى الكوفة حيث انتهى الأمر بقتله في كربلاء سنة ٦١هـ / ٦٨٠م[١]. وكان ممن شارك في حصار الحسين في كربلاء من أهل حمص شمر بن ذي الجوشن، وحصين بن نمير[٢].

فقد دعا عبيد الله بن زياد شمر بن ذي الجوشن وقال له: "اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإن فعلوا فليبعث بهم إلي سلماً، وإن هم أبَوْا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن هو أبى فقاتلهم، فأنت أمير الناس، وثب عليه فاضرب عنقه، وابعث إلي برأسه[٣].

وكان شمر بن ذي الجوشن على ميسرة الجيش[٤]، وانتهى الأمر بمقتل الحسين، وعندما علم يزيد بن معاوية بذلك دمعّت عيناه وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم

---

١ ـ كربلاء: المكان الذي قتل فيه الحسين بن علي في طرف البرية عند الكوفة. الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٥٠٥. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٧٠ ـ ٧١. وما حدث في كربلاء سنة ٦١هـ لم يكن حادثاً عادياً أو إخماداً لفتنة قام بها ثائر ضد البيت الحاكم، بل كان أمراً جُلاً وسبباً في فرقة المسلمين، وقد سطرت هذه الفاجعة صفحة سوداء في تاريخ الخلافة الأموية، وكانت المنطلق الذي انطلقت منه المعارضة الشيعية المسلحة لحكم بني أمية، وكانت في المدى البعيد أحد الأسباب التي أدت إلى سقوط الحكم الأموي. عاقل، خلافة بني أمية، ص١٠٥. الخزرجي (نضير): كربلاء في الواجهة، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، وقائع الندوة العلمية التي عقدت في لندن بتاريخ ٣٠ـ١٩٩٦/٣/٣١م، مؤسسة الزهراء الخيرية، الكويت، ط١، ١٩٩٦م، ص٢٢٠ وما بعدها.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٩٢. ابن العديم، الحسين بن علي، ص٨٥. ابن الطقطقي، الفخري، ص١١٦.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤١٥.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٢٢.

بدون قتل الحسين، لعن الله ابن سمية(عبيد الله بن زياد)، أما والله لو أني صاحبه لعفوت عنه، فرحم الله الحسين[1]، فقال شمرين ذي الجوشن: "يا أمير المؤمنين ورد علينا في ثمانية عشر رجلاً من أهل بيته، وستين رجلاً من شيعته، فسرنا إليهم، فسألناهم النزول على حكم أميرنا عبيد الله بن زياد أو القتال، فأبوا"[2].

وأمر يزيد النعمان بن بشير أن يجهز أسرة الحسين، وأن يحسن وفادتهم، ويقدم لهم المال والكسوة، وأن يجهز لهم وسائل السفر للمدينة[3].

وكان ذلك موافقاً لرأي والي حمص النعمان بن بشير ليزيد أن يحسن إليهم ويتودد إليهم قائلاً: "يا أمير المؤمنين، اصنع بهم ما كان يصنع بهم رسول الله ﷺ لو رآهم بهذه الحال. فوافقه يزيد على ذلك وقال: "خلوا عنهم، واذهبوا بهم إلى الحمام، واغسلوهم، واضربوا عليهم الثياب، وأمال عليهم المطبخ، وكساهم، وأخرج لهم الجوائز الكثيرة من الأموال والكسوة"[4].

لقد أراد يزيد أن يلطف الأجواء، ويرضي حرمات الحسين، كما أنه استشعر قرابتهم من الرسول محمد ﷺ ووجد نصيحة النعمان مما يؤيد رغبته.

ثالثاً: موقف الحمصيين من ولاية العهد السفيانية

بعد وفاة الرسول محمد ﷺ، وانتهاء مؤتمر السقيفة[5] بمبايعة أبي بكر الصديق خليفة على المسلمين، الذي أوصى عند مرضه بأن يخلفه في الحكم عمر

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٦٠. ابن العديم، الحسين بن علي، ص٩٠.

٢ ـ ابن العديم، الحسين بن علي، ص٩٠.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٦٢.

٤ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٨٥.

٥ ـ مؤتمر السقيفة: هو المكان الذي اجتمع فيه المهاجرون والأنصار في أعقاب وفاة الرسول محمد ﷺ، وتباحثوا في مسألة من يتولى أمر المسلمين بعد وفاة الرسول وانتهى أغلب المؤتمرين بمبايعة أبي بكر. لمزيد من التفاصيل اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص١٢٣ـ١٢٤. الطبري، تاريخ، ج٣، ص٢٠٢ـ٢١٠. عبد الفتاح (عبد المقصود): السقيفة والخلافة، دار غريب، القاهرة، ص١٠١ـ٣٠٣. البطاينة (محمد): تاريخ الحضارة العربية الإسلامي، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٩٨٥م، ص٤٠

بن الخطاب، والذي عهد عند طعنه إلى الستة الذين توفي الرسول محمد ﷺ وهو راضٍ عنهم، لينتهي الأمر بخلافة عثمان بن عفان، ثم استشهاده وصولاً لخلافة معاوية بن أبي سفيان.

إن هذا التطور في الحكم كان على درجة عالية من الدقة والأهمية، وكان قائماً في أساسه على مبدأ الشورى، ولم يكن لحمص أثر سياسي في تلك الأحداث، إلا بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان، حيث وقفت حمص إلى جانب واليها ووالي الشام آنذاك معاوية بن أبي سفيان، حتى وصل لمنصب الخلافة.

حرص معاوية بن أبي سفيان بعد أن أقام ملكاً قوياً في بلاد الشام وكسب ثقة وتأييد الأمصار، على أن يجعل هذا الملك وراثة في نسل الفرع السفياني في الوقت الذي قوبلت به هذه الفكرة بالرفض والمعارضة من قبل بعض بني أمية. ويبدو أن معاوية قد تأثر بالنظم الرومانية المجاورة له في تلك الحقبة فيما يختص بوراثة الملك[1].

---

٤٥. بيضون (إبراهيم): ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٩م، ص١٣-٢٣.

١ - ريسيلر (جاك، س): الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة احمد فؤاد الأهوائي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ص٧٠.

وحول ولاية العهد السفيانية. انظر ذوقان (وجيه لطفي): ولاية العهد في العصر الأموي، (٤١هـ/ ٦٦م، ١٣٢هـ / ٧٥٠م)، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٥م، ص٥١

٦٠. سالم (السيد عبد العزيز): دراسات في تاريخ العرب، تاريخ الدولة العربية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص٤٠٥. عطوان (حسين): الأمويون والخلافة، دار الجيل، ١٩٨٦م، ط١، ص٧٦-٨٠. الخضري (محمد بك): تاريخ الأمم الإسلامية الدولة العربية، طبعة جديدة ومنقحة ومزيدة، تقديم ومراجعة أحمد حطيط، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م، ط١، ج١، ص٢٥١-٢٥٣. الجبيلي (سجيع جميل): البيت السفياني في الشعر الأموي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٨م، ط١، ص٧٣. العش (يوسف): الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها، ابتداء من فتنة عثمان، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٥م، ط٢، ص١٦١. بني عبد الرحمن (خالد سليمان حمد) يزيد بن معاوية سيرته، وخلافته، (٢٦- ٦٤هـ)، ٤٦٤-٦٨٣م)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩١م، ص٨٠-١٢٢.

http:www. Damascus – online. Com/ Arabic/ se – a / history / muawalyah . htm, p١.

ففي سنة ٥٠هـ / ٦٩٨م، دعا معاوية أهل الشام إلى بيعة يزيد فأجابوه وبايعوا يزيداً[١]، وذلك أن معاوية لما أراد أن يظهر البيعة ليزيد قال لأهل الشام: "إني قد كبرت سني، ورق جلدي، ودق عظمي، واقترب أجلي، وأريد أن استخلف عليكم، فمن ترون"[٢]. وكان مراده أن يشيروا بيزيد[٣]. فقالوا عبد الرحمن بن خالد، فسكت وأضمرها[٤].

أما عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فهو ابن خالد بن الوليد فاتح حمص، كما أن عبد الرحمن كان عاملاً على حمص لمدة عشرين سنة[٥]، فطالت إمرته، فخاف معاوية أن يبايع له أهل الشام بالخلافة، لما كان عندهم من آثار أبيه خالد بن الوليد، وحُسن بلائه في أرض الروم. وكان عبد الرحمن بيده لواء معاوية يوم صفين[٦].

وكان أن وقع خلاف بين معاوية وعبد الرحمن، عندما استعمل معاوية عبد الرحمن بن خالد على الصائفة، ثم قال له: " ما تصنع بعهدي يا عبد الرحمن؟. قال أتخذه إماماً ولا أعصيه، قال معاوية: أردد عليَّ عهدي، فأجابه عبد الرحمن تعزلني بعد أن استعملتني عن غير حَدث؟. أما والله لو إنا بمكة على السواء لانتصفت منك. فأجابه معاوية: لو كنا بمكة على السواء لكنت معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية، ولكنت عبد الرحمن بن خالد بن الوليد. ولكان منزلي بالأبطح[٧].....

وبذلك فإن والي حمص مرهوب الجانب وعلى قدر عالٍ من الأهمية ليس في حمص

---

١ ـ خليفة، تاريخ خليفة، ص١٢٩. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (١٤ـ٦٠هـ)، ص٢٢، ويقال إن المغيرة بن شعبة هو صاحب فكرة ولاية العهد وهو الذي أشار على معاوية بذلك، الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٠٢.

٢ ـ البغدادي، خزانة الأدب، ج٢، ص٢٠٥.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٧. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج ١، ص٢٣٩.

٤ ـ البغدادي، خزانة الأدب، ج٢، ص٢٠٥.

٥ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص١٠٩.

٦ ـ الجهيشاري، الوزراء والكتاب، ص٢٣.

٧ ـ الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص١٠٦. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج١، ص٩٤. ابن حجر، الإصابة، ج٥، ص٣٤.

فقط بل وفي الشام، الأمر الذي جعل من حُسن معاملته، وآثار والده، ما يمكنه من منافسة ولي العهد الجديد بعد معاوية، "حتى أن معاوية خافه وخشي على نفسه منه، لميل الناس إليه"[1]. ورداً على ذلك ما كان من معاوية إلا أن اتخذ الإجراء المناسب لضمان بقاء الخلافة في ولده من بعده، ففي الوقت الذي مرض فيه عبد الرحمن[2]، دس إليه معاوية متطبباً يقال له ابن أثال النصراني ليقتله، فسقاه شربة مع بعض مماليكه فمات بحمص سنة ٤٦هـ/٦٦٦م[3]، وكان فداء مقتل عبد الرحمن أن يسقط معاوية للمتطبب خراجه ما عاش، وأن يوليه خراج حمص[4]. وهذا ما حصل.

وقد اعترض خالد بن المهاجر ابن عم عبد الرحمن بن خالد ويقال خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ابن أثال فضربه بالسيف فقتله، فَرُفع أمره إلى معاوية، فحبسه أياماً وأغرمه ديته، ولم يُقده به[5]. وتمثل خالد بن عبد الرحمن حين قتل ابن أثال قائلاً:

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٧.

٢ ـ ابن سلام، الأمثال، ص١٩٢.

٣ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص١٠٩. فعند ذلك قال معاوية: "لا جَدَّ إلا ما أَقْعَصَ عنك ما تكره". ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٤، ص٣٢٨. ابن سلام، الأمثال، ص١٩٢.

٤ ـ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤٢.

٥ ـ البلاذري، انساب، ق٤، ج١، ص١٠٩. الجهيشاري، الوزراء والكتاب، ص٢٣. وقال خالد في حبسه:

إما خطاي تقاربت ... مشي المقيَّد في الحصار

فبما أمشي في الأبا ... طح يقتفي أثري إزاري

دع ذا، ولكن هل ترى ... ناراً تشب بذي مرار

ما إن تشب لقرة ... للمصطلين ولا قتار

ما بال ليلك ليس ينـ ... ـقص طوله طول النهار

لتقاصر الأزمان أم ... غرض الأسير من الإسار

ولما بلغت معاوية هذه الأبيات أطلق سراحه وعاد إلى مكة.

البغدادي، خزانة الأدب، ج٢، ص٢٠٦.

أنـــا ابـــنُ ســـيْفِ الله فـــاعرفوني لم يبْـــقَ إلا حَـــسبي وديـــني

وصـــــارمٌ صَـــــلّ بـــــه يمـــــيني[1]

وبوفاة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد أزاح معاوية من أمامه نداً قوياً لابنه يزيد، وأقام معاوية الخطباء لتحقيق هدفه في بيعة يزيد، ومن ذلك ما ذكره عمرو بن سعيد الأشدق قال: "أما بعد: فإن يزيد بن معاوية أمل تأملونه، وأجل تأمنونه، إن استضفتم إلى حلمه وشقكم (أعطاكم المال)، وأن احتجتم إلى رأيه أرشدكم وإن افترقتم إلى ذات يده أغناكم، جدع قادح سوبق فسبق، ونوجد فنجد قورع ففاز سهمه، فهو خلف أمير المؤمنين، ولا خلف منه"[2].

وكانت هذه إحدى الوسائل الإعلامية التي استخدمها معاوية لتحقيق هدفه، ويبدو أن جلساء معاوية كانوا يدركون ما في نفس معاوية من تحقيق البيعة ليزيد، فعندما أظهر بعض الناس كراهية بيعة يزيد قام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقنع أخرج سيفه ثم قال: "أمير المؤمنين هذا، (وأشار إلى معاوية)، فإن هلك فهذا، (وأشار إلى يزيد) فمن أبى فهذا (وأشار إلى سيفه)"[3]، ثم قام رجل من ذي الكلاع من حمص وقال شعراً يحث به على مبايعة يزيد[4].

وهي إشارة واضحة على أن أهالي حمص بعد ما قُتل عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد لم يروا أمامهم في الشام إلا يزيد بن معاوية أضف لذلك أن ذا الكلاع كان له قبلية يمنية قوية مقيمة في حمص (رأس قبيلة حمير اليمنية)، وبتأييده للبيعة يحافظ على مكانته وربما يكون له شأن في مقتبل الأيام.

كما أن يزيد بن معاوية كان حريصاً وطامعاً في البيعة له بدليل ما ذكره الأصفهاني أن مسكيناً الدارمي كان مقرباً من يزيد، فلما أراد معاوية البيعة

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٢٢٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦، ص١٦٣.

٢ ـ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص١٧٠. القالي، الامالي، ج٢، ص٧١. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١١١.

٣ ـ ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٢، ص٢٢٩. الأبشيهي، المستظرف، ج١، ص٢٠٦.

٤ ـ القالي، الامالي، ج١، ص١٦١.

ليزيد، أمر يزيد مسكيناً أن يقول أبياتاً من الشعر، وينشدها في مجلس معاوية إذ كان حافلاً، وهذا ما حصل فانشد قائلاً:

ألا ليت ما يقول ابن عامر ومروان أم ماذا يقول سعيد

إذا المنبر الغربي خلاّه ربه فإن أمير المؤمنين يزيد[1]

وانحصر رفض البيعة ليزيد بن معاوية في المدينة المنورة، الأمر الذي دفع معاوية إلى الذهاب حاجاً في سنة ٥١هـ /٦٧١م، لأخذ البيعة لابنه[2]، فذكر الواقدي أنه وهو في الطريق قال: "وإني اليوم ابن بضع وسبعين سنة، ومالي على ربي أكثر مما أعطاني، فرحم الله عبداً دعا لي بالعافية، فقال له مروان: جزعت يا أمير المؤمنين، قال: إني قد رققت، وذكرت ما كنت عنه عزوفاً، وقد ابتليت في أحسني، وخفت أن يكون عقوبة من ربي، ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي"[3].

وبعد أن وصل معاوية إلى المدينة التقى بمراكز القوى المعارضة لبيعة يزيد، وأخذ منهم البيعة، غير أن مراكز القوى هذه لم تجد الفرصة لرفض البيعة إلا في أعقاب وفاة معاوية، وتمثل مراكز القوى تلك الشخصيات، التي حذر منها معاوية ابنه يزيد عندما أوصاه قائلاً: "وإني لست أخاف من قريش إلا ثلاثة: حسين بن علي، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، فأما ابن عمر فرجل قد وقذه الدين، فليس ملتمساً شيئاً قبلك، وأما الحسين بن علي فإنه رجل خفيف، وأرجو أن يكفيه الله بمن قتل أباه وخذل أخاه، وإن له رحماً ماسه وحقاً عظيماً، وقرابة

---

١ ـ مسكين الدارمي: ابن أنيف وقيل ابن عامر الدارمي، من شعراء الدولة الأموية، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٨، ص١٤. وتجدر الإشارة إلى أن معاوية مع شديد حبه ليزيد، آثر أن ينشأ بعيداً عنه في أحضان الفطرة، وخشونة البداوة، ليستكمل الصفات اللائقة المهمة التي تنتظره، فبعث به إلى أخواله عند أمه ميسون بنت بحدل وفي ذلك الوسط أمضى يزيد زمن صباه وصدر شبابه. ابن العربي، العواصم، ص٢٢٧.

٢ ـ خليفة، تاريخ، ص١٣١. الذهبي، تاريخ الإسلام، حوادث (٤١ـ٦٠هـ/٦٦١ـ٦٧٩م)، ص٢٢. وقيل إن معاوية حج سنة ٥٠هـ / ٦٨٩م. اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٣٨. الأصفهاني، الأغاني، مج٣، ص١٢٤.

٣ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٢٨. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٧.

من محمد ﷺ ولا أظن أهل العراق تاركيه حتى يخرجوه، فإن قدرت عليه فاصفح عنه، فإني لو كنت صاحبه عفوت عنه، وأما ابن الزبير فإنه خب ضب، فإذا شخص لك فالبّد له، إلا أن يلتمس منك صلحاً، فإن فعل فاقبل، واحقن دماء قومك ما استطعت"[1].

فهذه الرواية تدل على خبرة معاوية ومعرفته بمراكز القوى[2]، ومدى تأثيرها على ملك الفرع السفياني، وفي الوقت نفسه تمثل مخططاً سفيانياً لاستكمال البيعة السفيانية من بعد يزيد، وهو ما كان يسعى إليه يزيد بعد وفاة معاوية، فما موقف حمص بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان من القوى المعارضة؟. وكيف تم التعامل مع هذه القوى؟.

أدت ولاية العهد السفيانية إلى ظهور البغض والعداوة بين أفراد البيت الاموي، وأوغر صدور بعضهم على بعض، فقد كان عهد معاوية ليزيد يمثل خطوة حاسمة في تحديد علاقة الخلافة الأموية بمراكز القوى القبلية والإسلامية في المجتمع[3]، فمعاوية أول من حول الخلافة الإسلامية إلى خلافة وراثية[4].

---

١ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٠٩. المبرد، التعازي، ص٧٤ـ ٧٥. البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص١٤٥. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٢٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١١٥. اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص١١٢. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص٦. أبو سعيد (حامد غنيم): الخلفاء الأمويون من افتتاحياتهم ووصاياهم الفرع السفياني، مجلة الدارة،العدد٢، السنة ١٠، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م، ص٢٨.

٢ ـ ابن الطقطقي، الفخري، ص١١٥. وانظر:

http:www. Uruklink . net / ireqinfo/ islmhis٠٥. htm.

٣ ـ سوي (خير الدين يوجه): تطور الفكر السياسي عند أهل السنة (فترة التكوين من بدايته حتى الثلث الأول من القرن الرابع الهجري)، دار البشير، عمان، ١٩٩٣م، ط١، ص٤٨.

٤ ـ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣١٨. علي (أحمد علي إسماعيل): تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، ١٩٩٩م، ج٢، ص٧٧.

http:www. Damascus – online. Com/ Arabic/ se – a / history / muawalyah . htm. p١.

لقد كان موقف حمص مؤيداً لوراثة الملك في آل أبي سفيان، ويتضح ذلك من خلال المواقف التي مثلها ولاة حمص مع مراكز القوى المعارضة، ووقوفهم إلى جانب يزيد في أعقاب وفاة معاوية، نظراً لما حظيت به حمص من اهتمام في الحقبة السفيانية.

ففي سنة ٦٠هـ /٦٧٩م، بويع ليزيد بالخلافة بعد وفاة أبيه، وكان على يزيد أن يحسم الموقف بأخذ البيعة من مراكز القوى المعارضة، وكان أمير المدينة آنذاك الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فبادر يزيد بالكتابة إليه: "أما بعد، فخذ حسيناً وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير بالبيعة أخذاً شديداً ليست فيه رخصة، حتى يبايعوا" فلما وصل الكتاب إلى الوليد بوفاة معاوية، دعا مروان بن الحكم. وكان الوليد يوم قدم المدينة قدمها مروان متكارهاً ـ فلما رأى ذلك الوليد منه شتمه عند جلسائه فبلغ ذلك مروان، فاعتزل مجلسه، فلم يزل كذلك حتى جاء نعي معاوية إلى الوليد، فلما عظم على الوليد هلاك معاوية وما أُمر به من أخذ هؤلاء الرهط بالبيعة، فزع عند ذلك إلى مروان واستشاره بالأمر[1].

وكان سبب تكاره مروان عزله عن ولاية المدينة، كما أن مروان ممن ولي المدينة مراراً للسفيانيين، ومن ثم فهو صاحب رأي في التعامل مع الخصوم من أهل المدينة.

فكان رد مروان للوليد: "أرى أن تبعث الساعة إلى هؤلاء النفر فتدعوهم إلى البيعة، والدخول في الطاعة، فإن فعلوا قبلت منهم، وكففت عنهم، وإن أبوا قدمتهم فضربت أعناقهم"[2]، قبل أن يعلموا بموت معاوية، فإنهم إن علموا بموت معاوية وثب كل امرئ منهم في جانب، وأظهر الخلاف والمنابذة، ودعا إلى نفسه، أما ابن عمر فإني لا أراه يرى القتال، ولا يحب أنه يولى على الناس، إلا أن يدفع إليه هذا عفواً"، فأرسل عبد الله بن عمر بن عثمان إليهما يدعوهما، وبعد

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣٩٩. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٣٨. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٤.

٢ ـ خليفة، تاريخ خليفة، ص١٣٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١٠. اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٤١. البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣٠٠. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٣٩. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٨.

مشاورات قدم الحسين على الوليد ورأى أنه لا يبايع سراً[1].

وأشار مروان على الوليد: "والله لئن فارقك الساعة، ولم يبايع لا قدرت على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع، أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين فقال: يا ابن الزرقاء، أنت تقتلني أم هو؟"، وخرج من مجلسه، فعندها قال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك من مثلها من نفسه أبداً"[2]. فقال الوليد: وبخ غيرك يا مروان، إنك اخترت لي التي فيها هلاك ديني، فأجابه مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا له وهو غير الحامد له على رأيه[3]. "مستهزئاً ومستخفاً به"[4].

وبالانتقال إلى موقف ابن الزبير والحسين فقد خرجا إلى مكة سراً، وكان الوالي على مكة في هذه السنة (٦٠هـ /٦٧٩م) عمرو بن سعيد الأشدق، فعزل يزيد الوليد بن عتبة عن المدينة، وجمعها مع مكة للأشدق[5]، وعلى أثر خروج ابن الزبير عن طاعة الخليفة كان يزيد قد طلب من الأشدق أن يأتي بابن الزبير في سلسلة من فضة، فاستعان الأشدق بعمرو بن الزبير في ذلك، وعلى الرغم من تحذير مروان بن الحكم للأشدق بعدم غزو مكة قائلاً: "لا تغز مكة واتق الله ولا تحل حرمة البيت، وخلوا ابن الزبير فقد كبر، له بضع وستون سنة، وهو رجل لجوج، والله

---

١ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٣٩. ابن العديم، بغية الطلب، ج٦، ص٢٥٧٣. ابن الطقطقي، الفخري، ص١١٧.

٢ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢١١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٠. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٥.

٣ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣٠٢. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٠. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٥.

٤ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٥.

٥ ـ وقال الواقدي: عُزل يزيد بن الوليد بن عتبة لأن مروان كتب يذكر ضعفه وإدهانه، وولي المدينة عمرو بن الأشدق، وولى يحيى بن الحكم الجمحي مكة. ثم عزل يزيد الأشدق وولى الوليد بن عتبة لأن الأشدق لم يقدر على ابن الزبير، ثم عزل يزيد الوليد وعين عثمان بن محمد بن أبي سفيان سنة ٦١هـ/٦٨٠م، وكان صغيراً لم تحنكه التجارب الأمر الذي فتح المجال أمام ابن الزبير، وأهل المدينة الذين أخرجوه من المدينة هو وبني أمية وخلعوا يزيد. البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣٠٧-٣١٨. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٣-٤٧٧.

لئن لم تقتلوه ليموتن، فقال عمرو بن الزبير: والله لنقاتله ونغزوه في جوف الكعبة، على رغم أنف من زعم فأجابه مروان بن الحكم:

والله إن ذلك ليسوءني"[1]. وعلى الرغم من هذا التحذير إلا أن الجيش بقيادة الأشدق سار في طريقه إلى مكة وهُزم هناك[2].

وفي هذه الأثناء كان الحسين بن علي، ومسلم بن عقيل قد أجابا أهل الكوفة وخرجا إليهم فجهز ابن زياد له جيشاً، وانتهى أمر الحسين بن علي[3].

وبمقتل الحسين بايع أهل مكة والمدينة ابن الزبير، عزل الخليفة يزيد الأشدق عن المدينة وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ويبدو أن الأشدق ظل والياً على مكة، وفي هذه الأثناء كان على يزيد أن يتخذ الإجراءات التي تكفل له بقاء خلافته، فأعد جيشاً كبيراً وأرسل معه بجامعه فمر بها البريد على مروان بن الحكم بالمدينة، فأخبر خبر ما قدم له وبالسلسلة التي معه، فقال مروان:

خذها فليست للعزيز بخُطَّة ... وفيها مقالٌ لامرئ متضعف[4]

وكان يزيد بن معاوية قد وجه عشرة نفر من أشراف أهل الشام، فيهم والي حمص النعمان بن بشير، وقال: "انطلقوا، فأعيدوه إلى الطاعة والجماعة"، فلما وصلوا ودار بينهم حديث عام رفض ابن الزبير الطاعة من خلاله، وكان ابن الزبير قد طلب الخلوة بوالي حمص النعمان، وكان النعمان يرى أن ابن الزبير أولى

---

١ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣١٣. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٤.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٤٦.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٨٩. وعند ذلك قال يحيى بن الحكم أخ مروان بن الحكم (رواية أبي مخنف):

لهامٌ بجنب الطَّفِّ أدنى قَرابةً ... من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سميّة أمسى نسلها عدد الحصى ... وبنت رسول الله ليس لها نسل

وعند ذلك ضرب يزيد بن معاوية صدر يحيى بن الحكم، وقال: اسكت. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٦٠ـ٤٦١. انظر الفصل الرابع، ثانياً ،٣، من هذه الأطروحة.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٥٧.

بالخلافة مفاخراً به أبوك الزبير، وأمك أسماء بنت أبي بكر، وخالتك عائشة، وعمتك خديجة بنت خويلد، ولا أشير عليك ببيعة يزيد، ثم عاد القوم إلى الشام، وأخبروا يزيد برفض ابن الزبير البيعة[1].

والجدير بالذكر أن السير من الشام إلى المدينة يحتاج إلى محطات للراحة لذلك وفي حياة معاوية بن أبي سفيان وبتكليف منه كان النعمان بن بشير قد بنى قصر خلّ بتكليف من الخليفة معاوية بن أبي سفيان بظاهر الحرة على طريق دُومة، ليكون حصناً وفيه حجر منقوش عليه: " لعبد الله معاوية أمير المؤمنين مما عمل النعمان بن بشير". وإنما سمي قصر خلّ لأنه على الطريق، وكل طريق في حرّة أو رمل يقال له الخل[2]، وربما أنه كان محطة راحة لجيش النعمان آنذاك.

ومهما يكن فإن والي حمص النعمان لم يستطع إقناع عبد الله بن الزبير ببيعة يزيد ابن معاوية، بالرغم من أنه نصح ابن الزبير بقوله: " ولا طاقة لأهل هذا البلد بأهل الشام، وأحذرك الفتنة إذا بايع الناس يزيد واجتمعوا عليه". وعاد النعمان، فقص الخبر على يزيد فغضب وحلف أن يؤتى به في جامعه[3]. بالإضافة إلى ذلك فقد أخفق والي حمص النعمان في إقناع أهل المدينة من أقاربه بمبايعة يزيد. حيث أجابوه بأنه يدعوهم إلى أمر فيه تفريق وإفساد، ولم يجد نفعاً كتاب التهديد الذي أرسله يزيد مع النعمان لإرغام أهل المدينة بمبايعة يزيد[4].

وبإخفاق النعمان في إقناع ابن الزبير بعث يزيد مجموعة أخرى فيها والي حمص الحصين بن نمير السكوني[5]، فأبلغه غضب يزيد، وإصراره على قدومه في جامعه، غير أن محاولة الحصين بن نمير قد أخفقت أيضاً[1].

---

١ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٢.

٢ ـ ابن شبه، تاريخ المدينة، ج١، ص١٦٤.

٣ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣٠٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٨١.

٤ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣٢١. وهذا الإخفاق جعل يزيد يرفض قيادة الجيش لقتال أهل المدينة رغم طلب النعمان ذلك. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٢٥.

٥ ـ الحصين بن نمير: كان عاملاً لعمر بن الخطاب على الأردن، وكان أمير يزيد بن معاوية لقتال النعمان أهل مكة. ابن حجر، الإصابة، ج٢، ص٢٢.

ثم مضى البريد حتى قدم ابن الزبير، فأتى ابن الزبير فأخبره بممر البريد على مروان، فقال ابن الزبير: "لا والله لا أكون أنا ذلك المتضعف"[1].

وعلى الرغم من تحذير مروان بن الحكم لعبد الله بن الزبير من عدم الثورة قائلاً: "إن القوم لا يدعون سلطانهم حتى يذبوا عنه"، وخوفه من أهل الشام، إلا أن ذلك التحذير لم يجد نفعاً[2].

ففي سنة ٦٣هـ /٦٨٢م بايع أنصار المدينة عبد الله بن حنظلة الغسيل[3] على خلع يزيد بن معاوية[4]، ووثبوا على عثمان بن محمد بن أبي سفيان، ومن بالمدينة من بني أمية ومواليهم، ومن رأى رأيهم من قريش، وكان عددهم يقارب الألف وكانوا قد اجتمعوا في دار مروان بن الحكم على أنه المدبر لهم، ولصغر سن عثمان ابن محمد بن أبي سفيان، فحاصرهم الناس حصاراً ضعيفاً، و عندها أرسل مروان ابن الحكم كتاباً ليزيد بن معاوية قال فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم: أما بعد، فإنه قد حصرنا في دار مروان، ومنعنا العذب، ورمينا بالجبوب[5]، فياغوثاه يا غوثاه"[6].

وعندما وصل الكتاب إلى يزيد بن معاوية، قال: أما يكون بنو أمية ومواليهم ألف رجل بالمدينة؟. ألم يستطيعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار، ثم بعث إليه بنجدة بقيادة مسلم بن عقبة المري[7]، الذي دخل المدينة فانتهبها ثلاثة أيام، وبايع من بقي

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٧٥.

٢ ـ البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣١٩. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١١١.

٣ ـ ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٦٦. زكي، جمهرة خطب، ج٢، ص٣٢٦.

٤ ـ وقد قال عبد الرحمن بن الحكم أخ مروان في يزيد بن معاوية حين خلعه ابن الزبير:

ثكلتك أمك من إمام جماعة ... أيضل رأيك في الأمور ويعزب

ألهاك برقعة الضباع عن القمى ... حتى (أتاك) وأنت لاه تلعب

البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٢٩٧.

٥ ـ الجبوب: هي الأرض الغليظة.

٦ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٨٣. البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص١٠٩.

٧ ـ مسلم بن عقبة المري: أدرك النبي محمد ﷺ و شهد صفين مع معاوية، وهو صاحب يوم الحرة. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٨، ص١٠٢. ويبدو أن مسلم بن عقبة قد أقام في حمص فترة،

من أهلها على أنهم عبيد ليزيد[1].

وفيه قتل ابن الغسيل[2].

وقيل إن معاوية كان قد أوصى ابنه يزيد قائلاً: "إن لك من أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم بن عقبة، فإنه رجل قد عرفت نصيحته"[3].

وعندما اشتد الحصار على بني أمية في دار مروان، خرجوا من المدينة والتقوا بجيش مسلم بوادي القرى، وعندما سأل مسلم بن عقبة عن الأمر، حرص مروان أن يجعل لابنه عبد الملك شأناً، فقدمه على نفسه في الكلام فقال له: "ادخل قبلي لعله يجتزئ بك عني". فدخل عليه عبد الملك، فقال: هات ما عندك، أخبرني خبر الناس، وكيف ترى؟. فقال له: أرى أن تسير بمن معك؟. فتسلك هذا الطريق إلى المدينة، حتى إذا انتهيت إلى أدنى ما نحن بها نزلت، فاستظل الناس في ظله، وأكلوا من أكله، حتى إذا كان الليل أذكيت الحوَاس الليل كله عقباً بين أهل العسكر، حتى إذا أصبحت صليت بالناس الغداة، ثم مضيت بهم وتركت المدينة، ذات اليسار، ثم أدرت بالمدينة حتى تأتيهم من قبل الحرة مشرقاً ثم تستقبل القوم فإذا استقبلتهم وقد أشرقت عليهم، واطلعت الشمس طلعت بين أكتاف أصحابك، فلا تؤذهم، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرها، ويصيبهم أذاها ويرون ما دمتم مشرقين من ائتلاف بيضكم وحرابكم، وأسنة رماحكم وسيوفكم، ودروعكم وسواعدكم، ما لا ترونه أنتم لشيء من سلاحهم، ما داموا مغربين، ثم قاتلهم

وكان على اطلاع بلهجة حمص اللغوية المحلية، فقد ورد انه خلال سيره إلى المدينة لقي جماعة تريد الشخوص من المدينة، ولما سأل عن أمرهم أجابوه أنهم مغنون، فرد عليهم: "وَيْش" وهي كلمة حمصية محلية تفيد معنى الإستغراب، ووبخهم وقال لهم: الغناء واللهو جئنا، ثم ضرب أعناقهم. البلاذري، أساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣٣٥

١ ـ خليفة، تاريخ، ص١٤٨. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٢١-٣٢٢. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٨٣. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٠. اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص١١٢. ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٦٥.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٨٠.

٣ ـ خليفة، تاريخ خليفة، ص١٤٨. البلاذري، أنساب الأشراف، ق٤، ج١، ص٣٣٤. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٥. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٨. البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص١١٠.

واستعن بالله عليهم ،فإن الله ناصرك؛ إذ خالفوا الإمام وخرجوا من الجماعة، فقال له مسلم: لله أبوك! أي امرئ ولد إذ ولدك! لقد رأى بك خلفاً، فقال له مروان: إذا لقيت عبد الملك فقد لقيتني"[1].

أراد مروان من خلال هذا الموقف أن يجعل لعبد الملك رأياً سياسياً في إخماد حركة ابن الزبير عن طريق المشورة بالتعبئة العسكرية، وخططها، كما أنه يعبر عن عدم رضا مروان بن الحكم بعدما طرد من المدينة، وربما كان يريد أن يكون هو قائد هذا الجيش، ولذلك استصغر مسلم وأرسل له ابنه عبد الملك.

فما كان من مسلم بن عقبة، وبعد أن اقتنع بنصيحة ومشورة عبد الملك أن قاد الجيش فكانت وقعة الحرة سنة ٦٣هـ/ ٦٨٢م[2]. وفيها قتل ابن الغسيل[3].

وكان مروان قد رجع مع مسلم إلى المدينة مؤازراً له معيناً له على أمره حتى ظفر بأهل المدينة، وقتلوا وانتهبت المدينة ثلاثاً، وكتب مسلم بن عقيل بذلك إلى يزيد ،كما أشار إلى دور مروان بن الحكم في تحقيق النصر، ولذلك شكر يزيد بن معاوية مروان بن الحكم عندما قدم إلى الشام على موقفه في المدينة، وظل مروان بن الحكم في الشام حتى وافت المنية يزيد بن معاوية[4]. وظل عبد الملك بن مروان في قصر أبيه بذي خشب[5]، لأنه كان مصاباً بالجدري[6].

وبالرغم مما حظي به مروان من مكانة، وتقرب لدى مسلم، إلا أن مسلم لم

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٨٦. البياسي، الإعلام بالحروب، ج٢، ص١١٧ـ١١٨. وقارن ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٢٢٥. غير أننا نستنتج مما ذكره ابن الأثير، أن عبد الملك كان كارهاً لغزو المدينة حيث قال: "ليت السماء وقعت على الأرض أعظاماً لذلك". الكامل، مج٤، ص١١٣.

٢ ـ وقعة الحرة: نسبة إلى حرة واقم إحدى حرتي المدينة الشرقية، سميت برجل من العماليق اسمه واقم، وكانت هذه الحرة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ /٦٨٢م. الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٢٤٩. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٧.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٨٠. زكي، جمهرة خطب، ج٢، ص٣٢٧.

٤ ـ ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٣٩. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٩.

٥ ـ ذي خشب: وادٍ على مسيرة ليلة من المدينة. الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٧٢.

٦ ـ ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٢٢٥. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج١، ص١٦٩.

يقبل شفاعة مروان في رجلين من قريش رفضا البيعة ليزيد، قائلاً لمروان: "وأنت والله لو قلت بمقالتهما ما رأيت السماء إلا برقةً"[1].

وذلك أن مسلم بن عقبة لما قتل أهل الحرة، وظفر بالمدينة، أخذ الناس بالبيعة ليزيد بن معاوية، على أنهم عبيد قِن، وكان من رفض يضرب عنقه، غير أن شفاعة الحصين بن نمير الذي كان معه أربعة آلاف رجل من كندة في علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب لاقت قبولاً لدى مسلم، فقبل منه المبايعة على أنه ابن عمر أمير المؤمنين وليس عبداً، "والله لا يبايع ابن أختنا على هذا أبداً"[2].

وتبدلت الأحداث سريعاً عندما توفي مسلم بن عقبة، وتولى قيادة الجيش المتجه لحصار ابن الزبير في مكة الحصين بن نمير والي حمص نزولاً عند رغبة الخليفة يزيد بن معاوية[3].

وتظهر الروايات أن مسلم بن عقبة لم يكن راضياً عن تولية الجند للحصين بن نمير، غير أنه أراد تنفيذ أوامر الخليفة يزيد بذلك بدليل أنه خاطبه بشدة قائلاً: "يا برذعة الحمار، أما والله لو كان هذا الأمر إليَّ ما وليتك هذا الجند، ولكن أمير المؤمنين أوصاني أن أوليك إياه"[4]. وهي رواية تؤكد عدم رضا مسلم عن الحصين ابن نمير.

ويبدو أن سبب الخلاف الذي وقع بين مسلم والحصين لم يكن نقصاً في كفاءة الحصين العسكرية، لأن الخليفة يزيد يعلم كفاءة الحصين، ولذلك جعله نائباً لمسلم إذا مات، وقد تكون شفاعة الحصين لأحد أقاربه ممن رفضوا بيعة يزيد من الأمور التي حفظها مسلم وأضمرها على الحصين، وقبل بالشفاعة جبراً "فخشي مسلم أن ينتشر عليه أمره"[5]. كما أن مسلم كان يخاطب الحصين صراحة: "إن حُبيش بن دلجة أولى بما وليتك منك، ولكنه أمر أمير المؤمنين"[6].

---

١ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٢٥. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٢.

٢ ـ وقد لقب بمسرف لكثرة قتله الناس.ابن حبيب، المنمق، ص٣١٦.

٣ ـ الأزرقي، أخبار مكة، ج١، ص٢٠٢. البياسي، الاعلام بالحروب، ج٢، ص١١٦.

٤ ـ خليفة، تاريخ، ص١٤٩. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٣٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٤، ص٣٨٧.

٥ ـ ابن حبيب، المنمق، ص٣١٦.

٦ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٣٧.

فمسلم يقدم القائد البديل على الحصين.

غير أن الأمور تنكشف أكثر عندما يخاطب مسلم الحصين قائلاً: " قد دعوتك وما تدري أستخلفك على الجيش أم أقدمك فأضرب عنقك، فأجابه الحصين: أصلحك الله إنما أنا سهمك فارم بي حيث شئت، فقال: إنك أعرابي جلف جاف، وإن هذا الحي من قريش لم يمكنهم قط رجل من أُذينة إلا غلبوه على رأيه"[1]، وتظهر هذه الرواية أن مسلم كان يرى الحصين قائداً ليناً[2] مفاوضاً لابن الزبير إذا دعاه، وهذا ما كان يخشاه مسلم.

لذلك أوصى مسلم الحصين عدة وصايا منها، ما أورده أبو مخنف: "فأسرع وعَمِّ الأخبار، وعجّل الوقاع"[3]. وهي من النصائح العسكرية التي تطلبتها ظروف القتال، فالسرعة في المعارك ونشر أخبار النصر، وتسيير البريد من النصائح الضرورية في القتال، وأوصاه كذلك كما أورد المدائني: " لا تطيلن المقام بمكة فإنها أرض جردية (شديدة الحر)، لا تحتمل الدواب، ولا تمنع أهل الشام من الحملة، ولا تمكن قريش من أذنك، فإنهم قوم خدع، ولا تجعل أذنك قمعاً لقريش، فإنهم سحرة بالكلام[4]، وليكن أمرك الوقاف ثم الثقاف ثم الانصراف، وأعلم أنك تقدم على قوم لا منعة لهم ولا عدة ولا سلاح، ولهم جبال مشرفة عليهم، فانصب عليهم المجانيق فإن عاذوا بالبيت فارمه، فما أقدرك على بنائه"[5].

ففي الوقت الذي أدرك فيه مسلم دنو أجله، وأن لا مناص من تعيين الحصين على الجند، بدأ يوصيه تجنب ما وصف به الحصين من اللين.

ونصح مسلم الحصين أيضاً أن يتعامل مع البيئة بطريقة تناسب أهل الشام لاختلاف المناخ بين مكة والشام، كما أن المناخ لا يناسب دواب الشام من خيل

---

١ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٣٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٦.

٢ ـ ولو كان لي ما استخلفته لأن من شأن اليمانية الرّقة. الدينوري الأخبار الطوال، ص٣٤٥.

٣ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٣٧.

٤ ـ اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢١٥. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٤ـ١٥.

٥ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٣٨. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٦. ابن حزم، رسالة أسماء الخلفاء، ج٢، ص١٤٠. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٢٣٠.

وحمير، بخلاف جمال مكة، كما أنه حثه على جواز استباحة أهل الشام للمدينة ونهبها، وعدم التفاوض مع قريش.

وحدد مسلم الخطة العسكرية بثلاث نقاط رئيسية: الوقاف، وهي أن يستجيب الناس لبيعة يزيد، وثانياً الثقاف وهو القتال إن لم يتحقق الشرط الأول، وثالثاً الانصراف، وهو إباحة المدينة وأخذ البيعة عنوةً ثم العودة إلى الشام، وعدم الإطالة في مكة.

بالإضافة إلى ذلك حدد مسلم للحصين السلاح اللازم نصبه على الجبال، وهو المنجنيق لرمي الناس إن التجؤوا إلى البيت الحرام. وبذلك فإن حصين بن نمير تولى قيادة جيش الشام، وكان قد أبلى في قتال ابن حنظلة الغسيل مع أهل حمص، قبل وفاة مسلم[1]. كما كان له فسطاط، وحوله حرس من أهل حمص[2]، وسار حتى وافى مكة، وتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام في جميع من كان معه، ونصب الحصين المجانيق وكانوا يرمون أهل المسجد[3]، واستمر الحصار حتى جاء نعي يزيد بن معاوية، الذي توفي في حوارين في حمص[4].

ولابد أن حصار مكة كان له آثار سلبية على الطرفين، فالأثر الديني على استباحة المدينة ورميها بالمنجنيق يمثل أمراً نفسياً أضر بالمسلمين جميعاً، وهو مشابه لما فعله الأشتر ورفاقه من أهل الكوفة عندما شاركوا في قتل الخليفة عثمان ابن عفان من قبل، فأين حرمة الكعبة؟. كما أن ظروف الحصار من قساوة حرارة الصحراء، والحاجة إلى الغذاء وكثرة القتل كانت من الأمور التي تنتظر شرارة لوقف القتال.

---

١ ـ ابن سعد، الطبقات، مج٥، ص٦٨. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٢٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٠. البياسي، الإعلام بالحروب،ج٢، ص١١٦.

٢ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٣٠.

٣ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٤، ص٣٨٧.

٤ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٣٦. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٨. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٢. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٠. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤٣.

فما أن وصل خبر وفاة يزيد حتى سارع الحصين لاستغلاله للتفاوض مع ابن الزبير، وإنهاء حالة الحرب بالموادعة، إذ اخبر الحصين ابن الزبير بوفاة يزيد، وانتهاء الأسباب التي أوجبت عصيانه، وتمرده، فاستجاب ابن الزبير لطلب الحصين، وفتح أبواب المسجد فطاف الحصين وأصحابه. ولكن لماذا أراد الحصين موادعة ابن الزبير؟.

تشير تطور الأحداث إلى أن الحصين رغب في موادعة ابن الزبير لاستغلال قوته في المسير إلى الشام، وأخذ البيعة له، لكن ابن الزبير على ما يبدو كان غاضباً على أهل الشام، إذ قال للحصين أنه لن يقبل حتى ينتقم لكل حجازي بعشرة شاميين، فاستاء الحصين من تصرف ابن الزبير، علماً أنه دعاه للخلافة، وإزاء ذلك عاد الحصين وجنده إلى الشام[1].

رابعاً: موقف الحمصيين من وصول المروانيين لمنصب الخلافة

تحقق وصول الفرع المرواني لمنصب الخلافة، بعد وفاة معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية[2]، فكيف تم ذلك؟. وما هو الدور الذي لعبته مراكز القوى في أعقاب وفاة

---

١ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٤٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٨، ص٢٣٠.

٢ ـ هناك خلاف حول تاريخ وفاة معاوية الثاني، وكذلك حول فترة ولايته، وحول عمره حين توفي، وربما أن ذلك الاختلاف يعود ابتداءً إلى الاختلاف في تحديد وفاة والده يزيد بن معاوية، فروى المدائني: "مات يزيد بحوارين، ويقال دفن فيها أبوه معاوية، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة"، ويقال ابن تسع وثلاثين وأشهر، وكانت ولايته ثلاث سنين، ويقال وتسعة أشهر، ويقال وسبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً، وكان موته يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، ٦٨٣م، وصلى عليه معاوية ابنه". البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٤. وروى المدائني عن أيوب القرشي عن خالد بن يزيد عن جابر قال: مات يزيد ابن تسع وثلاثين سنة. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٤. وذكر إنه مات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل ابن بضع وأربعين سنة. خليفة تاريخ، ص١٥٨. ومات بحمص. ابن العماد، شذرات الذهب، مج١، ص٢٨٦. ومن هنا فإن الروايات اختلفت حول تحديد حقبة ولاية معاوية الثاني وكانت تتراوح بين:
ـ ٢٠ يوم: البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧. القضاعي، عيون المعارف، ص١٥٨.

معاوية الثاني، وحدوث فراغ سياسي في العالم الإسلامي؟. وما موقف الحمصيين من هذه الأدوار؟.

فقبل وفاة يزيد بن معاوية قيل إنه بايع لابنه معاوية بالعهد من بعده، فلما مات صلى عليه ابنه معاوية بن يزيد[1]، وتمت له البيعة باستثناء مكة حيث كان عبد

ـ ٤٠ يوم. ابن الكلبي، جمهرة، ص٥١. ابن سعد، الطبقات، مج٥، ص٣٩. خليفة تاريخ، ص١٥٩. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٠٣. المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣٢. ابن حزم، رسالة نقط العروس، ج٢، ص٦٤. الذهبي، تاريخ،ج٥، ص٢١٥. ابن دقماق، العقد الثمين، ج١، ص٨١.

ـ٤٥ يوماً (شهر ونصف). خليفة، تاريخ، ص١٥٨.

ـ٦٠يوماً (شهران). ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج٢، ص١٨٩. المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢.

ـ ٩٠يوماً (ثلاثة أشهر). ابن سعد، الطبقات، مج٥، ص٣٩. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤٣. القضاعي، عيون المعارف،ص١٥٨. الذهبي، سير أعلام، ج٤، ص١٣٩. ويرى سيديو : "أن خلافة معاوية الثاني كانت ستة أسابيع". خلاصة تاريخ العرب، ص٨٩. وكذلك هناك خلاف حول سن معاوية حين ومات فقيل:

ـ ١٧ سنة. القضاعي، عيون المعارف، ص١٥٨. الذهبي، سير أعلام، ج٤، ص١٣٩.

ـ ١٨ سنة. خليفة تاريخ، ص١٥٨. ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج٢، ص١٨٩. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧.

ـ١٩ سنة. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧.

ـ٢٠ سنة. خليفة تاريخ، ص١٥٨. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧.

ـ٢١ سنة. خليفة تاريخ، ص١٥٨. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧. ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٣، ص١٣٧٦. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٣٩١. الذهبي، سير أعلام، ج٤، ص١٣٩.

ـ ٢٣سنة، وثماني عشر يوماً. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧. الذهبي، سير أعلام، ج٤، ص١٣٩.

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٤٩٩. وروي أن يزيد بن معاوية أصيب بكبده بعد خلافته بسنتين، وكان حسان بن مالك بن بحدل قد أشار عليه بالبيعة لابنه معاوية من بعده فقبل يزيد مشورته، وتمت مبايعته. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧. وقيل أن أم معاوية بن يزيد (أم هاشم بنت عتبة بن ربيعة) هي التي أشارت على يزيد بالبيعة لابنها معاوية الثاني. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٧. الحسن (أحمد): حسان بن مالك بن بحدل ودوره في حفظ الخلافة في بني أمية، دراسات تاريخية، العدد ٧٣، ٧٤، ٢٠٠١م، ص٨٥ ـ ١١٠.

الله ابن الزبير، وقيل إن معاوية الثاني كان كارهاً للخلافة[1]، وقيل إنه كان مريضاً[2]، وكان يأمر الضحاك بن قيس الفهري أن يصلي بالناس بدمشق، ولما اشتد عليه المرض قيل له: "لو عهدت عهداً، فقال: والله ما نفعتني حياً أفأتحملها ميتاً، والله لا يذهب بنو أمية بحلاوتها، وأتحمل مرارتها، وإذا مت فليصلِ علي الوليد بن عتبة، وليصل بالناس الضحاك بن قيس حتى يختاروا لأنفسهم رجلاً مرضيّاً عندهم"[3].

وذكر أنه قال: "والله ما نفعتني حياً فأتقلدها ميتاً وإن كان خيراً فقد استكثر منه آل أبي سفيان"[4]. وروى عوانه أنه قال: "أما بعد، فإني قد نظرت في أمركم فضعفت عنه، فابتغيت لكم رجلاً مثل عمر بن الخطاب، ـ رحمه الله ـ حين فزع إليه أبو بكر، فلم أجد، فابتغيت لكم ستة في الشورى مثل ستة عمر، فلم أجدها، فأنتم أولى بأمركم، فاختاروا له من أحببتم". ثم دخل ولم يخرج إلى الناس وتغيب حتى مات"[5]. وقيل إنه جمع الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: "أيها الناس إني نظرت بعدكم فيما صار إلي من أمركم، وقلدته من ولايتكم، فوجدت ذلك لا يسعني فيما بيني وبين ربي أن أتقدّم على قوم فيهم من هو خير مني، وأحقهم بذلك، وأقوى على ما قلدته[6]، فاختاروا مني بإحدى خصلتين: إما أن أخرج منها، واستخلف عليكم من أراه لكم رضى مقنعاً، ولكم الله علي ألا

---

١ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٨.

٢ ـ ابن سعد،الطبقات، مج٥، ص٣٩. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٦.

٣ ـ ابن سعد،الطبقات، مج٥، ص٣٩. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٦.

٤ ـ ابن سعد،الطبقات، مج٥، ص٣٩. أبو تمام، النقائض، ص٦. اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٥٤. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣٢. ابن القطقطي، الفخري، ص١٢٠. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٩، ص٣٠٢. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٦٨. ابن دقماق، العقد الثمين، ج١، ص٨١.

٥ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣١. شهلة (إيلي منيف): الأيام الأخيرة في حياة الخلفاء، راجعه وقدم له محمد عبد الرحيم، دار الكتاب العربي، دمشق، ١٩٩٨م، ط١، ص٦١.

٦ ـ ذكر أن معاوية الثاني قال: "إن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه لقرابته من رسول الله ﷺ وهو علي بن أبي طالب". ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢١٣.

ألوكم نصحاً في الدين والدنيا، وإما أن تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها: فعجب الناس من قوله، وخافت بنو أمية أن تزول الخلافة منهم، فقالوا: "ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير الله". وعلى أثر ذلك طعن معاوية الثاني بعد أن رفض مطالب بني أمية بأن يستخلف أحداً[1].

وعلل بنو أمية موقف معاوية الثاني الرافض للاستخلاف والمائل للزهد إلى معلمه عمر المقصوص فخاطبوه بعبارات قاسية، فيروى أنهم قالوا لمعلمه: "أنت علمته هذا وصدرته عن الخلافة، وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسنت له البدع، حتى نطق بها، وقال ما قال، فقال: والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي بن أبي طالب". فكان مصير عمر المقصوص القتل من قبل بني أمية، وزعم البعض أن عمر المقصوص علم معاوية بن يزيد أن يكون قدرياً فلما جاءته البيعة أشار عليه المقصوص قائلاً: "إما أن تعتدل وإما أن تعتزل"[2].

ويستفاد من الروايات السابقة أن معاوية الثاني رفض أن يستخلف أحداً من بعده، حتى أنه رفض مشورة والدته بمبايعة أخيه خالد من بعده[3]، وزعم البلاذري حدوث اختلاف بين معاوية الثاني ومروان بن حكم في هذه الحقبة لدرجة وصلت إلى شتم بعضهما البعض، فروي أن مروان قال لمعاوية الثاني: "من أراد أن ينظر في خالفة آل حرب بن أمية فلينظر إلى هذا، فقال له معاوية: يا ابن الزرقاء اخرج لا قبل الله لك عذراً يوم تلقاه"[4].

---

١ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج٢، ص١٨٩. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٣٠.

٢ ـ المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص١٦ـ١٨. القرماني، آثار الدول، ص١٣٢. ابن العبري الملطي، تاريخ مختصر الدول، ص١١١.

٣ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٣، ص١٣٨٩. القضاعي، عيون المعارف،ص١٥٩. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢١٣. ويبدو أن أم هاشم عندما رفض معاوية الثاني مبايعة أخيه خالد قالت: "لو وددت يا بني أنك كنت نسياً منسياً وأنك لم تضعف هذا الضعف؟. فقال: وددت والله أني كنت نسياً منسياً ولم أسمع بذكر جهنم". البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٩. قارن، المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢. البياسي، الإعلام والحروب، ج٢، ص٢٤٣.

٤ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٨.

وبوفاة معاوية الثاني صلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، لكون معاوية الثاني أوصى بذلك، ولكونه أكبر آل سفيان سناً[1]، وقيل: "ليكون الأمر له من بعده، وأثناء صلاته طعن فسقط ميتاً قبل إتمام الصلاة"[2]. الأمر الذي دفع عثمان ابن عنبسة بن أبي سفيان إلى رفض الصلاة بالناس، واللجوء إلى خاله عبد الله بن الزبير، على الرغم من أن مروان كان قد قال لعثمان: " عمك لا خالك"[3]، إلا أن عثمان سار إلى خاله عبد الله بن الزبير في مكة[4]، وعلل المسعودي رفض عثمان بيعة الناس له بأنه رجل مسالم يدعو للسلام، ونبذ الفرقة والقتال[5]، غير أن هذه الشروط كما يبدو لم تكن لترضي بني أمية.مما دفع مروان بن الحكم[6]، لإتمام الصلاة. ولم يقتل أثناءها.

وتظهر الروايات أن مروان بن الحكم بدأ ينتقص من معاوية الثاني بعد وفاته، ويضعفه أمام الناس،واصفاً إياه بأبي ليلى[7]، ومتمثلاً بقول الشاعر:

إنـي أرى فِتَنـاً تغلـي مَرَاجِلُـها فالمُلكُ بعد أبـي ليلـى لمـن غلبـا[8]

---

١ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣١، ص٣.

٢ ـ المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢. ودفن الوليد بجانب قبر معاوية بن يزيد. القضاعي، عيون المعارف، ص١٥٨. وقيل إنه مات بسبب الطاعون. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٣، ص٢١٢.

٣ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣١، ص٣ .وقيل إن عبيد الله بن زياد قال: "عمك لا خالك". ابن قتيبة، الإمامه، ج٢، ص١٨٩.

٤ ـ الذهبي، تاريخ، ج٥، ص٣٦. حيث كانت أم عثمان: زينب بنت الزبير بن العوام. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠، ص١٦.

٥ ـ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨٢.

٦ ـ القضاعي، عيون المعارف، ص١٥٩. الذهبي، سير أعلام، ج٤، ص١٣٩.

٧ ـ هذه الكنية "أبي ليلى" للمستضعف من العرب. المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٦.

٨ ـ مؤرج السدوسي، حذف، ص٣١. المصعب الزبيري، نسب، ص١٢٨. ابن سعد،الطبقات، مج٥، ص٣٩. ابن قتيبة، المعارف، ص١٩٩. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٠٠. المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢. المسعودي، التنبيه والإشراف،، ص٢٨٢. ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٣، ص١٣٨٩. ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٩. القرماني، آثار الأول، ص١٣٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٢٦٠. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج٦، ص١٥٢.

وقد اختلف في سبب وفاته (معاوية الثاني)، فقيل: إنه سقي سماً، وقيل طعن[1]، وقيل إنه مات موتاً طبيعياً[2]، وقيل كان موت معاوية الثاني من قرحة يقال لها السكتة[3].

ويبدو أن تضارب الروايات حول وفاة معاوية الثاني مرده لاختلاف مصادر هذه الروايات، فمعروف أن التدوين التاريخي في بدايته اعتمد على الرواية الشفهية بالدرجة الأولى وهذا من شانه أن يغير الأحداث حسب رأي هؤلاء الرواة، وبالتالي كان وضع نهاية لمعاوية تتوافق مع انتمائه السياسي. ولكن الواضح للعيان أن الجميع أجمعوا على مرض معاوية الثاني قبل وفاته، وهذا ما يؤكد أن وفاته كانت طبيعية وغير مدسوسة، فالجميع يعلم أن نهايته قريبة، وذلك لصعوبة شفائه وطول مدة مرضه.

وقيل: "بوفاة معاوية الثاني زال الأمر عن آل حرب، فلم يكن فيهم من يرومها، ولا يتشوق نحوها، ولا يرتجي لها"[4]. فقد أخفقت جميع محاولات السفيانيين في استرداد خلافتهم فيما بعد.

وهكذا انتهت الخلافة السفيانية ،و الفوضى السياسية على أشدها، وانقسمت البلاد أحزاباً وشيعاً متعددة، وكل حزب يريد التغلب على الأخر ليسوس الناس، أما السفيانيون فإنهم اضطروا للتسليم لمروان بن الحكم،ورشحت تلك الأحداث خالد بن يزيد بن معاوية الزعيم السفياني المطالب بحق السفيانيين فيما بعد[5].

وتظهر الروايات مدى الاختلاف السياسي والتناقض بينها، وعليه فبعض الروايات أشارت إلى أن سبب تنازل معاوية الثاني هو ضعفه وهذا يتعارض مع ما وصف به معاوية من أنه شاب صالح[6].

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣١. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٨٩. المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢.

٢ ـ المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢.

٣ ـ ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٣، ص١٣٨٩.

٤ ـ المسعودي، مروج، ج٣، ص٨٢.

٥ ـ الجبيلي، البيت السفياني في الشعر، ص٩٣.

٦ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٨. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٣٤.

أضف إلى ذلك أن والده يزيد قد قرب له المؤدبين، فقد اعتاد بنو أمية إرسال أبنائهم إلى البادية، وخاصة الشام، ليتأدب الأبناء هناك، ويتعلموا العربية والأشعار، والأدب والأخلاق البدوية الأصيلة، وكل ما يتصل بحياة البادية من فروسية وشجاعة وكرم[1].

ولا غرابة في ذلك فقد كان يزيد بن معاوية منقطعاً لبادية حمص، عند أخواله كلب، يتعلم عندهم الأدب والشعر وغيره من المعارف، فهو بذلك يعهد لابنه بالسير على خطاه.

وهذا يؤكد أن الخلفاء من بني أمية كانوا حريصين كل الحرص على تربية أبنائهم على قيادة الأمة، وكان يتم اختيار المؤدبين وفق القضايا التي كان يراها الخليفة ضرورية لإكمال شخصية ولي عهده، ولذا ركز الخلفاء على الجانب الديني، فاختاروا أبرز المؤدبين ممن برعوا بعلوم القرآن والتفسير والحديث والفقه والفرائض وغيرها، ومع أن هذه الأمور أساسية في حياة كل مسلم، فإن خلفاء بني أمية أولوها الاهتمام اللازم ليظهروا أمام الناس بأهليتهم لخلافة رسول الله ﷺ، ومن ناحية أخرى، فقد اهتموا بأنساب العرب وأيامها وبالشعر والنحو والحساب، وكلها أمور أساسية لتعميق صلة الأمويين بالقبائل العربية، كما أن معظم المؤدبين كانوا من الفقهاء والعلماء الذين سمت منزلتهم، وكانوا ذوي سمعة خاصة في المجتمع العربي الإسلامي[2].

فهذا دليل على أن معاوية الثاني لم يكن ضعيفاً، ولم يكن ليخطب خطبة يصف نفسه بها بالضعف، وإنما قيلت مثل هذه الرواية على لسانه، من أحد الموالين لبني مروان لإسباغ الشرعية على خلافة بني مروان.

---

١ ـ صالحية (محمد عيسى): مؤدبو الخلفاء في العصر الأموي، (٤١ ـ ١٣٢هـ /٦٦١ ـ ٧٤٩م)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ع٣، مج١، ١٩٨١م، ص٤٥. وانظر أبو تمام (حبيب بن أوس)، (ت ٢٣١هـ /٨٤٥م)، نقائض جرير والأخطل، عني بطبعها لأول مرة عن نسخة الأستانة الوحيدة وعلق على حواشيها الأب انطون صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٢٢م، ص ٦٥.

٢ ـ صالحية، مؤدبو الخلفاء، ص٤٦.

وبالانتقال إلى رواية مقتل المؤدب عمر المقصوص الذي كان يؤدب معاوية الثاني، وهي تشير إلى أن تنازل معاوية عن الخلافة إنما يعود إلى اعتناقه آراء مؤدبه لآل البيت فأظهر حب علي، وأن هذا المؤدب كان قدرياً، الأمر الذي جعل بني أمية تأمر بقتله[1]، ومع أن التحيز والإغراض واضحان في هذه الرواية فإنها تظهر مدى أهمية المؤدب في تسيير الأحداث حتى السياسية منها، وأن شخصيته كانت حاضرة في الذهنية التي تؤرخ أو تعلل الأحداث[2].

ويلاحظ من الروايات أن معاوية بن يزيد لم يسم أحداً من بعده، ودعا إلى الشورى، وواضح أن الشورى هنا أموية شامية، وإذا كانت الرواية التي تشير إلى قوله: "إن كان خيراً فقد استكثر منه آل أبي سفيان". تتضمن الحرص على السفيانيين، فإن جل الروايات تبين أن معاوية بن يزيد رفض الوراثة المباشرة، وتخلى عن حق السفيانيين في الخلافة عن طريق الشورى الأموية الشامية[3].

وقد رجح عاقل رواية الواقدي التي تشير إلى أن معاوية رفض أن يستخلف أحداً من بعده ودلل على ذلك بقوله: "من الجائز أن آل مروان بن الحكم وأتباعه هم الذين وضعوا (رواية عوانة التي تشير إلى ضعف معاوية) ليبرروا أخذهم للخلافة من البيت السفياني، باعتبار أن صاحب الخلافة قد تنازل عنها، فلم يغتصبوها من السفيانيين، بل كان لا بد لهم من أخذها حتى لا تظل الجماعة الإسلامية دونما إمام. كما أن رواية عوانة التي تشير إلى أن معاوية الثاني لم يمت ميتة طبيعية، بل مات مسموماً أو مطعوناً، ولا يوجد ما يبرر سمه أو طعنه إذ أنه حسبما يرد في الرواية نفسها كان قد تنازل بمحض إرادته عن الخلافة، فلماذا يسم أو يطعن وهو

---

١ ـ صالحية، مؤدبو الخلفاء، ص٦٦.

٢ ـ صالحية، مؤدبو الخلفاء، ص٦٧. ومن الجائز كذلك أن يكون معاوية الثاني محباً لآل علي، وإذا صح ذلك فهذا سبب كافٍ لقتله، إذا آثر التنازل عن الخلافة لهم.

٣ ـ كاتبي (غيداء خزنة)، انتقال الخلافة من السفيانيين إلى المروانيين قراءة في الروايات، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، السنة العشرون، العدد ٦٧-٦٨، كانون الثاني ـ حزيران، ١٩٩٩م، ص٦١.

ليس بخصم أحد؟. وينتهي عاقل بقوله: "إن معاوية الثاني لم يتنازل عن الخلافة وإن حياته انتهت عمداً على يد بعض من كانوا يريدون الخلافة لأنفسهم"[1].

والسؤال هنا: من صاحب المصلحة الحقيقية في قتل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عندما كان يصلي على معاوية الثاني؟. ثم لماذا خرج عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى خاله عبد الله بن الزبير[2]؟. وأخيراً لماذا لم يقتل مروان بن الحكم عندما صلى على معاوية الثاني، كما قتل الوليد؟. فإذا صح أن معاوية الثاني مات بفعل فاعل، فلا بد أن يكون ذلك الفاعل في أقل الظروف من المؤيدين لمروان بن الحكم.

وهكذا فإن وفاة معاوية بن يزيد بن أبي سفيان، وما أحاط به من غموض قد هيأ الفرصة لمراكز القوى بالتحرك نحو الخلافة، فهناك العديد من الشخصيات التي وجدت من الفراغ السياسي في الدولة الإسلامية وسيلة لتحقيق مكاسبها، ولما كان موضوعنا يتعلق بصورة خاصة بحمص، فإنني سأتحدث وبصورة سريعة عن مراكز القوى ممن سعوا للخلافة. وأعني بذلك أن أقوى مرشح للخلافة بعد وفاة معاوية كان عبد الله بن الزبير، إلا أنه كان في الحجاز بعيداً عن مركز الدولة

---

١ ـ عاقل، خلافة بني أمية، ص١٢٠ـ١٢١.

٢ ـ فمن الجائز أن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان بعدما قتل الوليد خشي على نفسه أن يحل به ما حل بابن عمه الوليد، وكذلك يحتمل أنه يعرف الذي قتل الوليد، لذلك اتجه لعبد الله بن الزبير، لكي يطالب بدم ابن عمه عندما تسنح له الفرصة لذلك. غير أن المصادر أغفلت ردة فعل الأمويين تجاه قتل الوليد، وأحاطتها بالغموض، فلم تظهر لنا تعجب أو رغبة الأمويين بالاقتصاص ممن قتله، ولما كانت العلاقة بين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ومروان بن الحكم، غير حسنة بدليل أن معاوية بن أبي سفيان عندما بايع لابنه يزيد، ووصلت البيعة للوليد بالحجاز ليزيد أشار عليه مروان بقتل ابن الزبير، والحسين إن لم يبايعا فامتنع عن ذلك. وحسمت المسألة بقول الفسوي: أراد أهل الشام الوليد بن عتبة على الخلافة فطعن بعد موت معاوية بن يزيد، سنة ٦٤هـ". الفسوي، المعرفة والتاريخ، مج٣، ص٣٢٩. وهكذا فإن سبب مقتل الوليد بن عتبة هو ترشيحه لمنصب الخلافة، فمن هو الشخص الذي كان يطمع بالوصول للخلافة؟. الأمر الذي دفعه لتدبير قتل الوليد، وذكر البياسي: " أن الذي صلى على معاوية بن يزيد عندما توفي أخوه خالد بن يزيد". الإعلام والحروب، ج٢، ص١٤١.

وعاصمتها دمشق، ثم أنه لم يكن أموياً الأمر الذي كان يعارضه بنو أمية[1]. غير أن مركزه كان قوياً خاصة عندما وقفت إلى جانبه الأمصار فكان بمصر عبد الرحمن ابن جحدم الفهري، يدعو لابن الزبير، وبحمص النعمان بن بشير الأنصاري وهو أول من خالف من أمراء الأجناد ودعا لابن الزبير بحمص، وبقنسرين زفر بن الحارث الكلابي، وكذلك بالكوفة عبد الله بن مطيع[2]، وفي البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة[3]، وفي خراسان عبد الله بن حازم السلمي، وهكذا مالت إليه جميع الأمصار ما عدا الأردن بزعامة حسان بن بحدل الكلبي[4]، وكان

---

١ ـ فروي أن ابن الزبير لما استخلف الضحاك على أهل الشام، قام أناس من أهل الشام من رؤوس قريش بني أمية وأشرافهم وفيهم روح بن زنباع الجذامي، فقال بعضهم: " إن الملك كان فينا أهل الشام، أفينتقل ذلك إلى أهل الحجاز؟. لا نرضى بذلك، هل لكم أن تأخذوا رجلاً منا فينظر في هذا الأمر؟. فقالوا: نعم، فجاؤوا بخالد بن يزيد بن معاوية، وهو غلام حدث السن، فقيل له: ارفع رأسك لهذا الأمر، فقال:استخير الله وانظر، فرأى القوم أنه ذو ورع عن القيام بذلك، فخرجوا فأتوا عمرو بن سعيد، فقالوا له: يا أبا أمية ارفع رأسك لهذا الأمر، فجعل يشير ويقول: والله لأفعلن فلما خرجوا من عنده قالوا: هذا حديث علج، فأتوا مروان بن الحكم، فإذا عنده مصباح، وإذا هم يسمعون صوته بالقرآن فاستأذنوا ودخلوا عليه، فقالوا له: يا أبا عبد الملك، ارفع رأسك لهذا الأمر، فقال: استخيروا الله واسألوه أن يختار لأمة محمد خيرها وأعدلها ما شاء الله". البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٢.

٢ ـ عبد الله بن مطيع: كان والياً على الكوفة عندما ثار عبد الله بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٦، ص٢٠٠.

٣ ـ الحارث بن عبد الله بن ربيعة المخزومي استعمله عبد الله بن الزبير على البصرة هو من صحابة رسول الله. ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج٢، ص٧٢.

٤ ـ حسان بن مالك بن بحدل الكلبي من أمراء معاوية يوم صفين، لعب دوراً بارزاً في وصول مروان بن الحكم الخلافة، وله قصر البحادلة في دمشق. ابن سعد، الطبقات، ج٧، ص٤٤. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٢ـ ٣٥٣. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٩١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣١. النقائض، ص٦. البياسي، الأعلام، ج٢، ص٢٤٤. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٤٥. فروخ، تاريخ صدر الإسلام، ص١٣٨. الذهبي، سير الأعلام، ج٣، ص٥٣٧. ابن العديم، بغية الطلب، ج٥، ص٢٢٣٥. لمزيد من التفاصيل انظر: الحسن(أحمد): حسان بن مالك بن بحدل ودوره في حفظ الخلافة في بني أمية، دراسات تاريخية، مج٢٢، العدد ٧٣ ـ٧٤، ٢٠٠١م، ص٨٥ـ١١٠.

مما يدعم موقف ابن الزبير أن الضحاك بن قيس كان يدعو إلى بيعته فذكر عوانه: "أن الضحاك بن قيس الفهري[1] بدمشق يهوى ابن الزبير ويدعو إليه"[2]. وأكد ذلك ما روي: "أن الضحاك بن قيس كان من أمراء الأجناد الذين خالفوا بدمشق ودعا الناس سراً ثم علانية، وبايعوا لابن الزبير، فلما بلغ ابن الزبير ذلك كتب إلى الضحاك بعهده على الشام فكتب الضحاك إلى أمراء الأجناد ممن دعا إلى ابن الزبير فأتوه"[3].

فبعث الضحاك بن قيس إلى النعمان بن بشير بعهده على حمص، وكان النعمان مائلاً لابن الزبير، فأخذ بيعة أهل حمص، واستقامت الشام لابن الزبير، ما عدا الأردن[4]، ولتأكيد ولاء حمص لابن الزبير بعث النعمان جيشاً حمصياً بقيادة شرحبيل بن ذي الكلاع مدداً لابن الزبير[5]. ويبدو أن النعمان غير راضٍ عن قتل أخيه لأمه عبد الله بن حنظلة الغسيل، (أمهما عمرة بنت رواحة)، حيث قتله مسلم والحصين يوم الحرة، الامرالذي جعله ينحاز لابن الزبير[6].

وإذا كان موقف النعمان مؤيداً لابن الزبير فإن هناك مواقف معارضة لولاة حمص، فعندما تشاور ولاة حمص مالك بن هبيرة السكوني، والحصين بن نمير (الذي كان يهوى الخلافة لمروان بن الحكم)[7]، كان رأي مالك بن هبيرة بضرورة مبايعة خالد بن يزيد بن معاوية لصلة قرابته منه، ولمنزلتهم من والده يزيد قائلاً: "هلم

---

١ ـ الضحاك بن قيس الفهري، أبو عبد الرحمن القرشي، ولي الكوفة ودمشق للسفيانيين. الذهبي، سير الأعلام، ج٣، ص٢٤٢.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٣. ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٦٦.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات، مج٥، ص٤٠. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٢٠٦.

٤ ـ البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٢٧ـ ١٢٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٢، ص١٢٦.

٥ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٣٥. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣٥. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٦٩. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٢٩٥.

٦ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٤٧٨.

٧ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٥.

فلنبايع هذا الغلام الذي نحن ولدنا أباه"، غير أن مسالة السن وصغر خالد كانت حائلاً أمام امتناع الحصين: "لا تأتينا العرب بشيخ (ابن الزبير) ونأتيهم بصبي (خالد)؛ غير أن رد مالك بن هبيرة كان على ما عرفه عن مروان "والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك، وشراك نعلك، وظل شجرة تستظل بها، إن مروان أبو عشرة، وأخو عشرة، وعم عشرة، فإن بايعتموه كنتم لهم عبيداً ولكن عليكم بابن أختكم، خالد، ورغم ذلك فإن الحصين كان مصراً على بيعة مروان بن الحكم[1]، قائلاً: "أنت شيخ بني أمية، وأنت عم الخليفة، هلم نبايعك"[2].

وهذا الموقف قد وضع بني أمية في موضع حرج مما دفع مروان العزم على الذهاب لمبايعة عبد الله بن الزبير، فقيل أن عبيد الله بن زياد[3]، بعد أن أخرجه أهل العراق التقى بمروان ودار حديث بينهما انتهى بقول عبيد الله لمروان: "والله لأنت أولى بها منه"[4]. فقال له مروان: فما الرأي؟. قال: أن ترجع وتدعو إلى نفسك،

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٦. ولما بايع والي حمص الحصين بن نمير مروان بن الحكم، واستقر الملك لمروان بن الحكم، اشترط الحصين على مروان أن ينزل البلقاء من كان بالشام من كندة، وأن يجعلها لهم مأكلة، فأعطاه ذلك، وإن بني الحكم لما استوثق الأمر لمروان، وقد كانوا اشترطوا لخالد بن يزيد بن معاوية شروطاً؛ قال مروان ذات يوم وهو جالس في مجلسه ومالك بن هبيرة جالس عنده: إن قوماً يدعون شروطاً منهم عطّارة ومكحلة، . يعني مالك بن هبيرة وكان رجلاً يتطيب ويكتحل ـ فقال مالك بن هبيرة: هذا ولما تردى تهامة، ولما يبلغ الحزام الطبيين؛ فقال مروان: مهلاً يا أبا سليمان، إنما داعبناك. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص١٥٠. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤٤.

٢ ـ الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٠.

٣ ـ وهذه الرواية تشير إلى دور عبيد الله بن زياد في التأثير على الأمويين في الأردن لمبايعة مروان بن الحكم، وهذه رواية مرتبكة فعبيد الله لم يذهب إلى الأردن، والأمويون لم يكونوا هناك ولم يسبق لهم الاتفاق على بيعة خالد بن يزيد، لمزيد من التفاصيل انظر: كاتبي، انتقال الخلافة، ص٦٥.

٤ ـ إن هذا الموقف إن صح من عبيد الله فذلك لما حل به من فقدان لما كان يتمتع به من مميزات في ولايته على البصرة في خلافة السفيانيين، وإن هذه المميزات ستعود إليه إذا ما وقف إلى جانب مروان بن الحكم، في أقل الظروف لأن مروان من بني أمية والسفيانيين من بني أمية ومروان هو المرشح الأقوى في نظر عبيد الله لذلك ساندَه.

وأنا أكفيك قريشاً ومواليها، ولا يخالف منهم أحداً، فقال عمرو بن سعيد: صدق عبيد الله، إنك لجذم قريش، وشيخها وسيدها، وما ينظر الناس إلا إلى هذا الغلام خالد بن يزيد ابن معاوية، فتزوج أمه فيكون في حجرك، وادع إلى نفسك، فأنا أكفيك اليمانية، فإنهم لا يخالفونني، وكان مطاعاً عندهم، على أن تبايع لي من بعدك، فوافقه"[1].

وتصور هذه الرواية بعد ذلك عودة مروان وعمرو بن سعيد وعبيد الله إلى دمشق للدعوة لمروان، بدلاً من ابن الزبير، الأمر الذي جعل الناس يتخذون منه موقفاً بقولهم: " أخذت بيعتنا وعهودنا لرجل ثم تدعو إلى خلعه فلما رأى ذلك عاد للدعوة لابن الزبير، فعندها خدعه عبيد الله بإقناعه باللجوء إلى الحل العسكري قائلاً له:" من أراد ما تريد لم ينزل المدائن والحصون، يبرز ويجمع إليه الخيل، فاخرج عن دمشق، واضمم إليك الأجناد، فخرج الضحاك فنزل المرج، وبقي عبيد الله بدمشق، ومروان وبنو أمية بتدمر، "وقيل إن بني أمية بايعوا مروان بتدمر"[2]. وخالد وعبد الله أبناء يزيد بن معاوية بالجابية، عند خالهما حسان بن مالك بن بحدل، فكتب عبيد الله إلى مروان أن ادع الناس إلى بيعتك واكتب إلى حسان بن مالك فليأتك فإنه لن يردك عن بيعتك ثم سر إلى الضحاك فقد أصحر لك، فدعا عندها مروان بني أمية فبايعوه، وعندما رفض حسان بن مالك بن بحدل أن يبايع لمروان قائلاً: " والله لئن بايعتم مروان ليحسدنكم علاقة سوط وشراك نعل، وظل شجرة، إن مروان وآل مروان أهل بيت من قيس، (يقصد إن مروان أبو عشرة، وأخو عشرة، وعم عشرة) فإن بايعتم له كنتم عبيداً لهم، فأطيعوني وبايعوا خالد بن يزيد"[3]. غير أن هذا

---

١ ـ وكان عبد الملك بن مروان قد أشار على والده مروان بقوله: "لست أشك مع الاختلاف الذي أرى أن الأمر صاير إليك". النقائض، ص٧، ويبدو أن مروان اقتنع بوجهة نظر هؤلاء النفر، ولكي يضفي الشرعية على نفسه وليكسب الفرع السفياني إلى جانبه فإنه بدأ يظهر أبناء أبي سفيان بمظهر الحلم، والعقل والجود، ويضرب بهم الأمثال لكسب تأييدهم له، النقائض، ص٧.

٢ ـ الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص١٦٧.

٣ ـ وروى صاحب النقائض: أن مالك بن هبيرة السكوني هو الذي قال لحصين بن نمير أن آل مروان أهل بيت من قيس قد تعطفوا عليهم (أبناء يزيد بن معاوية) في الولادة، وهم أهل بيت قد

الكلام لم يكن ليقنع بني أمية بصغير السن، وهذا ما جاء على لسان روح بن زنباع الجذامي: "بايعوا الكبير واستشبوا الصغير" فما كان من حسان إلا أن أجاب خالد بن يزيد بأن الناس آثروا مروان لسنه وتجاربه، يابن أختي هواي فيك وقد أباك الناس للحداثة، ومروان أحب إليهم منك ومن ابن الزبير". ويبدو أن حسان بن مالك بذل جهداً كبيراً في جعل الخلافة لخالد لكنه عجز عن ذلك عندما وجد أن كفة مروان هي الراجحة، فأجاب خالد خاله حسان قائلاً: "بل عجزت"، وعلى أثر ذلك تمت بيعة مروان بالجابية سنة ٦٤هـ /٦٨٣م، وكان مما شرط في الجابية: " أن لا يبايع مروان لأحد إلا لخالد بن يزيد، ولخالد إمرة حمص وللأشدق من بعده وله إمرة دمشق[1]"، وكان ذلك إرضاءً لأهل حمص إذ قيل أن مروان بعد وفاة معاوية الثاني دعا

قاسوا قوت الحجاز، وشدته، والله لئن ملكوا ليحسدنك نقاء ثوبك، وجلاز سوطك، وظل شجرة تستظل تحتها". النقائض، ص١٦.

١ ـ ابن سعد،الطبقات، مج٥، ص٤٠ـ٤١. النقائض، ص١٥. خليفة، تاريخ، ص١٦١. اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٥٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٧. البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٤١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٢٥٤. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٢. البياسي، الأعلام، ج٢، ص٢٤٨. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٤٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص١٣٣ـ١٣٦. وروى عوانه في تحديد مراكز الشخصيات المتنفذة وموقفها: " وكان الناس لهم أهواء مختلفة فأما مالك بن هبيرة السكوني فكان يهوى هوى بني يزيد بن معاوية، ويحب أن تكون الخلافة فيهم، وأما الحصين بن نمير فكان يهوى أن تكون الخلافة لمروان بن الحكم". الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٥. البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٣٤. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الشخصيات تحتاج إلى مزيد من الجهد للكشف عن الدور الذي لعبته في هذه الحقبة، تحديداً، وتحتاج إلى دراسة مستقلة) وعندما بايع الناس مروان بالجابية تمثل قائلاً:

لما رأيت الأمر أمرا نهبا ... سيرت غسان لهم وكلبا

والسكسكين رجالاً غلبا ... وطيئاً تأباه إلا ضربا

وألفين تمشي في الحديد نكبا ... ومن تنوخ مشمخراً صعبا

لا تأخذون الملك إلا غصباً ... وإن دنت قيس فقل لا حربا

إلى نفسه فأجابه أهل حمص[1]. في حين أن الكلبي سيد قحطان كان يطلب الخلافة لخالد بن يزيد بن معاوية لأنه من أخوال أبيه، فعدل رأيه لصغر خالد، وبايع مروان على شروط يلتزمها مروان، وأن لا يفصل أمراً دون حسان وقومه[2].

وفي شروط الجابية أهمية كبرى لحمص فهي المركز الثاني بعد العاصمة مباشرة، وأن ولي العهد أصبح والياً مؤقتاً على حمص. وكان الحصين بن نمير ومالك بن هبيرة، وعدد كبير من كلب حمص، قد حضروا مؤتمر الجابية[3].

وقد كان اختيار مروان بن الحكم في الجابية انتصاراً للمبدأ القبلي على الرغم من اصطدامه بين حين وآخر بالمبدأين الآخرين: الإسلامي، (بقيادة عبد الله بن الزبير)، والوراثي (بزعامة خالد بن يزيد)، وقد كانت تولية خالد بن يزيد ومن بعده الأشدق، اعترافاً بمبدأ الوراثة وتسوية بين الفروع الأموية القوية في إطار المفاهيم القبلية[4].

والواقع أن مروان بدا الأوفر حظاً حين قدومه إلى الجابية، بعدما نجح في توحيد بني العاص الذين تفوقوا عدداً وقوة على بني سفيان في قريش، كما توصل إلى إقناع عمرو بن سعيد الذي ورث زعامة الجناح الآخر من بني العاص بعد وفاة أبيه والوقوف إلى جانبه، وكذلك برز دور عبيد الله بن زياد لمصلحة مروان، بينما اقتصر تأييد خالد بن يزيد في حمص على قبيلة كلب، وفرع من السكون بقيادة

وفي هذه الأبيات إشارة إلى القبائل التي وقفت وساندت مروان في مرج راهط من حمص وغيرها من القبائل، وفي وصوله للخلافة. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٨. قارن الأبيات: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٣. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٤٩.

١ ـ الفاكهي، أخبار مكة، ج٢، ص٣٥٦.

٢ ـ الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص١٦٧. وقيل إن حسان بن مالك بن بحدل سُلم عليه بالخلافة أربعين يوماً ثم تنازل لمعاوية. البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٣٥.

٣ ـ البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٢٨.

http:www. Uruklink . net / ireqinfo/ islmhis٠٥. htm,p٣.

٤ ـ سوي، تطور الفكر السياسي، ص٥١.

http:www. Damascus – online. Com/ Arabic/ se – a / history / muawalyah . htm, p١.

مالك ابن هبيرة السكوني، والي حمص، وبذلك ضمن مروان في الجابية تأييد بني العاص والقبائل الشامية الأخرى، باستثناء قلة قليلة وقفت كما يبدو على الحياد[1].

ويرى البعض أن الخلافة انتقلت من الأسرة السفيانية إلى الأسرة المروانية باتفاق بني أمية وأتباعهم من القبائل اليمانية، الشامية على مروان بن الحكم، فقد اختاروه وآثروه لأنه كان نداً لعبد الله بن الزبير في المكانة[2].

لقد كان هناك نوع من التقديم والمفاضلة في نظر بني أمية ومؤيديهم للمرشح لمنصب الخلافة، فهم متفقون على أن الخليفة يجب أن يكون نداً قوياً لمواجهة ابن الزبير، وبالتالي كانت نظرتهم لمرشحي الفرع السفياني آنذاك ممثلين بخالد وعبد الله أبناء يزيد بن معاوية غير مرضية، لقولهم: "نحن نكره أن يأتينا الناس بشيخ (عبد الله بن الزبير) ونأتيهم بصبي"[3].

وروى وهب بن جرير: "أن أهل الأردن بايعوا - بعد وفاة معاوية بن يزيد بن معاوية - خالد بن يزيد وهو يومئذ غلام شاب، فلما قدم ابن زياد الأردن على بني أمية وقد بايعوا خالداً فقال: " إنكم قد أخطأتم الرأي في بيعة خالد وقد بايع الناس ابن الزبير، وأنتم تبايعون غلاماً حديث السن ليست له حنكة وتريدون أن تقارعوا به

---

١ - وكان مروان قد مهد لذلك من قبل : " فقد اتخذت الأزمة السياسية منحنى تصاعدياً منذ إخفاق الاتفاق بين الأطراف المتنافسة على الخلافة، وترافق هذا المنحنى مع تشدد الكلبيين من جهة وضغط القيسيين على الضحاك من جهة ثانية، فضلاً عن الدور الذي مارسه عبيد الله بن زياد في توسيع شقة الخلاف بينهما، مما حول الجابية التي اقترحت مكاناً لتسوية الأزمة بمشاركة مختلف القبائل الشامية إلى مقر يلتئم فيه المتحزبون لبني أمية من كلب وحليفاتها اليمانية. بيضون، مؤتمر الجابية، ص١٦٤-١٦٥. ولمزيد من التفاصيل حول مؤتمر الجابية انظر: عدنان (حنان): الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٥٠م)، شبكة أعلام العراق، ص١-٣.
http: //www. Uruklink, . net/ iraqinfo/ islmhis٠ htm page (١-٣).

٢ - عطوان، الأمويون والخلافة، ص١٤٨.

٣ - البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٣٢ . وقيل أنهم قالوا : "أفنبايع الصغير وندع الكبير". البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٣٥. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٢. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٤٨. بيضون، مؤتمر الجابية، ص١٧١-١٧٣.

ابن الزبير، وأشار عليهم بمروان بن الحكم، وقال: إن له سناً وفقها وفضلاً[1]. ويقال: " أن بعض أهل الأردن قد كانوا مائلين إلى نائل ومنحرفين عن حسان بن مالك بن بحدل، وكانت الزبيرية بالشام تقدم ابن الزبير وتبين فضله، فأظهر حسان بن مالك بن بحدل الدعاء لخالد بن يزيد بن معاوية، وعزم عليه فسار في كلب حتى نزل الجابية، فاجتمع بها بنو أمية، فقال أحدهم أراك تريد هذا الأمر لخالد بن يزيد وهو حديث السن، فقال: إنه معدن الملك ومقر السياسة والرئاسة". ثم قدم نفر من بني أمية إلى خالد فوجدوه نائماً فقالوا: يا قوم أنجعل نحورنا أعراضاً للأسنة والسهوم بهذا الغلام وهو نائم في هذه الساعة، وبعد حديث جرى بين بني أمية قام حسان خطيباً وقال (في وصف مروان): هو كبير قريش، وسنها[2]، وابن عم الخليفة المظلوم، والطالب بدمه قبل الناس أجمعين فبايعوه فهو أولى بميراث عثمان وأحق بالأمر"[3].

وكان على مروان أن يستكمل البيعة من الأمصار، فسار من الجابية إلى مرج راهط، وكان قد أخذ بيعة أهل تدمر، وكانوا ممن ساروا معه لقتال الضحاك يوم راهط[4] فاقتتل مع جيش الضحاك بن قيس عشرين ليلة[5]، وانتهت مرج راهط بقتل الضحاك وانتصار مروان وعودته إلى دمشق وأخذ البيعة من أهل الشام[6].

والملاحظ أن الحصين بن نمير كان موالياً للسفيانيين غير أنه بوفاة معاوية الثاني غير موقفه فما سبب تبدل موقف والي حمص، الحصين بن نمير؟. لقد كان

---

١ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص١٤٣ـ١٤٤.

٢ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٩٢.

٣ ـ البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٢٨ـ١٢٩. وقيل في رأي بني أمية في مروان إضافة لما سبق " أنه سيد بني أمية وهو ذو رأي وحيلة وتجربة للحرب". البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٣٨.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤١.

٥ ـ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤٤.

٦ ـ ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٢. النقائض، ص١٥. الأصفهاني، الأغاني، ج١٩، ص١٤٢ـ١٤٣. الفاكهاني، أخبار مكة، ج٢، ص٣٥٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٢٩٥. البياسي، الأعلام، ج٢، ص٢٥٢ـ٢٥٤. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص١٤٩. بيضون، مؤتمر الجابية، ص١٧٣ـ ١٨٣.

الحصين بن نمير مؤيداً ومسانداً لخلافة السفيانيين أما وقد توفي يزيد سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وخليفته صغير السن، فإن الحصين انقلب سياسياً على جانب عبد الله بن الزبير، وقيل للحصين بعد وفاة يزيد بن معاوية وقد توفي يزيد بن معاوية فعلى من تقاتل؟ ارجع إلى الشام حتى تنتظر هل سيجمع الناس على صاحبك معاوية بن يزيد، فلم يزالوا به حتى لان لهم، وخرج إلى الشام، وهذا سبب تبدل رأي الحصين الحمصي[1]. وإن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحق الناس بهذا الأمر، فهلم نبايعك، ثم أخرج معي إلى الشام، فإن هذا الجند الذي معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فوالله لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك"[2].

كما أن الحصين رفض مشورة مروان بن الحكم بمواصلة قتال ابن الزبير في أعقاب وفاة يزيد[3].

ويبدو أن الحصين يدعو لحقن الدماء ونبذ الفرقة، واجتماع الكلمة غير أن ذلك لم يقنع ابن الزبير الذي رفض السير للشام؛ فعندما وصل الحصين بن نمير إلى الشام أبلغ مروان بن الحكم بموقف النعمان من ابن الزبير.

إذ ظهر تأييد النعمان لابن الزبير عندما أمد الضحاك بن قيس في مرج راهط بجيش قوامه ألفا رجل من قبائل حمص من غسان وكلب السكسكين والسكاسك والسكون والقين، وطيء وتنوخ[4]، وبانتصار مروان في راهط كتب للنعمان عن معونته للضحاك، وأخبره بمقتل الضحاك، وطلب إليه أن يزوج ابنته من ابن مروان عبد الملك، وأن يدخل في طاعة الأخير، ويدعو له على المنابر في حمص،

---

١ ـ اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٥١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٠١ . البكري، المسالك، ج١، ص٣٩٩.

٢ ـ اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٥١. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٠٢. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٩١. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٤٤.

٣ ـ فقد كتب مروان بن الحكم للحصين: "لا يهولنك ما حدث، وامضِ لشأنك". اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٥٣.

٤ ـ البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٣٨. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٣. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦٤. ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٩٢.

وهدده أنه إذا رفض فسيقتله ويأخذ ابنته غصباً[1]. ولكن ما موقف النعمان؟. هل استجاب لدعوة مروان؟. أم قرر الرفض والوقوف في وجهه؟.

رفض النعمان طلب مروان وقرر المسير إلى ابن الزبير في مكة، وهنا علم مروان بن الحكم بذلك فأرسل له رجلاً يقال له عبد الرحمن بن الخلي ليحضره له أينما وجده[2]. وفي إشارة أخرى لموقف النعمان أنه عندما سمع بهزيمة مرج راهط قرر الفرار ليلاً إلى ابن الزبير في مكة فأدركه أحد الحمصيين ويقال له عبد الرحمن ابن خلي الكلاعي، وقتله وعاد بعائلته ورأسه إلى حمص، فجاء من بحمص من قبيلة كلب فأخذوا نائلة وولدها، وبعثوا بهم إلى المدينة[3].

إن تتبع الحمصيين لخط سير النعمان أثناء هروبه واللحاق به وقتله، يظهر عدم رضاهم عن موقفه من ابن الزبير، ولذلك كانت هذه البادرة الأولى لقتل الحمصيين لواليهم.

وإزاء هذه الأحداث وتطوراتها برزت ردة فعل سفيانية تجاه انتقال الخلافة منهم إلى الفرع المرواني، وكانت ردة الفعل هذه تهدف إلى استعادة حقهم بالخلافة، وتعبر عن عدم رضا الفرع السفياني بخلافة الفرع المرواني، لذلك فإن مروان بحنكته استطاع أن يمتص المضاضة والغضب الذي كان في نفس أبناء الفرع السفياني بزواجه من أم خالد بن يزيد بن معاوية (أم هاشم بنت عتبه)[4]، ليكسب

---

١ ـ ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٩٣.

٢ ـ اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٥٦. ابن أعثم، الفتوح، ج٥، ص١٩٣.

٣ ـ ابن الكلبي، نسب، معد، ج٢، ص٦٠. ابن سلام، النسب، ص٣٤١. البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٤٧. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٣٩. ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص١٧٦. ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٦٧. البغدادي، خزانة الأدب، ج٢، ص٣٢٩. وما تجدر الإشارة إليه أن نائلة زوجة معاوية قد تزوجت باثنين من ولاة حمص بعد معاوية الأول هو حبيب بن مسلمة، والثاني النعمان بن بشير، وكان سبب طلاقها من معاوية انه سأل زوجته ميسون الكلبية عن نائلة فأجابته أن تحت سرّتها خالاً ليوضعن رأس زوجها في حجرها، فطلقها معاوية، ووضع رأس زوجها النعمان في حجرها. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٣٢٩. المالقي، الحدائق الغناء، ص٣٧. وقتل في قرية من قرى حمص يقال لها بيرين، وقيل أن الذي قتله خلي بن داوود. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٢، ص١١٥.

٤ ـ وتختلف المصادر في تاريخ الزواج، فالبعض يرى أن مروان تزوج منها في تدمر، قبل مؤتمر الجابية في محاولة منه ليسقط خالد من أعين الناس. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٤١. وقيل أن

بذلك ولاء خالد ولي العهد وأمير حمص في الوقت نفسه، وكلب وأتباعهم من جهة، وليضعف أمر خالد من جهة أخرى[1]، كما أن مروان كان يهدف من وراء هذا الزواج كمحاولة من مروان لربط الدوحتين المروانية والسفيانية بقرابة من النسب[2]، ويبدو أن مروان قد تسمى في هذه الحقبة بأبي خالد[3]، ليمتص غضب خالد وليكسب تأييد السفيانيين له.

وقيل إن نفراً من بني أمية أشاروا على مروان بالزواج من أم خالد بدوافع منها: "وإنك إن تزوجت أمه كسرته"[4]، وروي أن مروان تزوج أم خالد ليضع منه[5]، وقيل لخوفه من خالد[6].

ويستفاد من رواية المدائني عن مسلمة بن محارب عن أبيه أن خالد كان على معرفة بالأسباب الدافعة لمروان لمثل هذا الزواج. فيروى: "أن مروان غزا أهل مصر

مروان تزوجها بعد أن أخضع مصر. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٣. في حين ذهب البعض إلى أن تاريخ الزواج قد حدث قبل الجابية لأن الأمويين كانوا حريصين على أن يكونوا يداً واحدة في الجابية، شاكر، مسألة شغور، ص١١٠. وهذا الرأي الأخير هو الأنسب لترجيحه. وكان من نتيجة مرج راهط: تثبيت الحكم الأموي في بلاد الشام، وانتقاله من البيت السفياني إلى البيت المرواني بمساندة قبيلة كلب. لمزيد من التفاصيل حول مساندة قبيلة كلب للمروانيين ودور حسان بن مالك انظر: الجبوري (جاسم محمد عيسى)، قبيلة كلب ودورها في التاريخ العربي حتى نهاية العهد الأموي في الشام، أطروحة مقدمة إلى مجلس معهد الدراسات القومية والاشتراكية في الجامعة المستنصرية، كجزء من متطلبات درجة الماجستير، ١٤١٠هـ، ص٨٨-١٤٧.

١ ـ Muir (William), the Claiphate: its Rise, Decline and Fall, WITH Anew Interdiction, by Zeinen, , Beirut, Khatats, ١٩٦٣,p٣٣٣.

٢ ـ بلياييف (س)، العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة أنيس فريحة، الدار المتحدة للنشر، بيروت، ١٩٧٣م، ص١١٠.

٣ ـ التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ج٣، ص١٦٥.

٤ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٩٢. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣٧.

٥ ـ المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص ٥٧. مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص١٣٩.

٦ ـ ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٦٦.

فامتنعوا منه وتحصنوا فقاتلهم حتى ظهر عليهم ثم رجع إلى الأردن فخطب أم خالد، فدعت ابنها فذكرت له ذلك، "فما كان رأي خالد إلا أن عبر لها عن مقصد مروان من هذا الزواج". والله ما له فيك حاجة وما يريد إلا فضيحتي والتقصير بي وإسقاط منزلتي في الناس"[1]. لذلك كان مروان في زواجه من أم خالد زواجاً سياسياً فهو كبير السن إلى شهوة النساء، في الوقت الذي كان عنده زوجة، فالهدف فقط هو إضعاف خالد بن يزيد، فقد أظهر صراحة سبب زواجه منها بقوله: "إني إن تزوجت أمه ثم لم يستطع منعها، علم الناس أنه على الخلافة أعجز"[2].

غير أن العلاقة ما لبثت أن ازدادت سوءاً بين خالد بن يزيد بن معاوية الذي رأى أن حق السفيانيين في الخلافة قد اغتصب، وخرج من آل أبي سفيان، وأن الجابية كانت تهدف إلى إبعاده عن العاصمة دمشق ونفيه إلى حمص، وبين مروان بن الحكم ممثل الفرع المرواني والذي كان يرغب بالتخلص مما قطعه على نفسه في الجابية من مبايعة خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد الأشدق بالخلافة من بعده.

ذكر أن مروان عندما توجه لمصر لإخضاعها كان قد استنجد بما عند خالد بن يزيد بن معاوية من سلاح، فأجابه خالد لذلك. فعندما أخضع مروان مصر وعاد إلى الشام رفض أن يعيد السلاح إلى خالد ووبخه أمام الناس[3]، وهذه الرواية إن

---

١ ـ البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٤٤-١٤٥. ومن هذه الرواية يتبين أن زواج مروان من أم خالد هو زواج المصلحة، دون النظر إلى الهدف الحقيقي من الزواج كما رسمته الشرائع السماوية، الذي يهدف إلى بناء عائلة جديدة قائمة على أسس من المودة والرحمة، وكان الهدف من ذلك الرغبة في الاستيلاء على الملك واكتساب الشرعية، وكسب الرأي العام أو التقوي بقوته، وكذلك لبلوغ الشرف بالإصهار إلى آل أبي سفيان، علي (وفاء محمد): الزواج السياسي في عهد الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٨م، ط١، ص٥. ويشير وهب بن جرير إلى دور الأشدق في الإشارة على مروان بالزواج من أم خالد، وكذلك بإقناع أم خالد بهذا الزواج بقوله لها: " أتريدين أن يرجع ملك أهل بيتك فقالت بلى، فنصحها بالزواج من مروان فقبلت". البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٥٦.

٢ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٢٥٧.

٣ ـ الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص٣٠٢. ابن قتيبة، الإمامة والسياسية، ج٢، ص١٩٢.

صحت فإن مروان أراد من مشاركة خالد والأشدق معه[1]، واصطحاب أسلحتهم، لكي لا يعطيهم الفرصة للانقضاض في الشام عند خروجه إلى مصر، ثم هل يعقل أن مروان يقرر الخروج إلى مصر ليدخلها في طاعته دون أن يكون معداً لذلك جيشاً قوياً مجهزاً بالأسلحة، وفي السبب الدافع لمروان لرفض إعادة السلاح لخالد عند عودته من مصر السبب نفسه الذي من أجله طلب منه السلاح، لأنه أراد أن يحد من قوة خالد في الشام[2].

أما عن مصدر السلاح لخالد بن يزيد، فيبدو أن خالد بن يزيد كان والياً على حمص في هذه الحقبة، فروي أنه بنى مسجدها، وكان له أربعمائة عبد يعملون في المسجد، فلما فرغوا من بنائه أعتقهم[3]، وبالتالي فإن الذي يملك هذا العدد من العبيد، فلا بد أنه يملك السلاح، ثم إن هناك مصدراً أخر لسلاحه وهو ما قد يكون في منزل جده معاوية وأبيه يزيد وأخيه معاوية باعتبارهم خلفاء، ولا يخلو منزلهم من السلاح.

كما أن ما اشتهر به خالد من علم الكيمياء التي توفر المادة الأولية لصناعة السلاح، وشغفه بهذا العلم يرجح أن يكون لديه فكرة عن تصنيع السلاح، وتزويد مروان به.

ويبدو أن العلاقة بين والي حمص خالد ومروان بعد إخضاع مصر واستتباب الأمن في الشام بدأ يسودها القلق والاضطراب، فخالد يعد نفسه الخليفة بعد مروان، ومروان يفكر في نقل الأمر لولده الأمر الذي دفع مروان ليخاطب خالد في أحد المجالس قائلاً له: "يا ابن الرطبة"[4]. فكان هذا ما أزعج خالد فبادر إلى والدته زوج مروان، وأخبرها بالأمر،

---

١ ـ واصطحب معه كبار رجالات الشام، ومنهم زفر بن الحارث وحسان بن بحدل ومالك بن هبيرة السكوني. الكندي، الولاة والقضاة، ص٤٢. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٨٥.

٢ ـ البلاذري، انساب، ق٤،ج١، ص٣٦٤.

٣ ـ البلاذري، انساب، ق٤،ج١، ص٣٦٤.

٤ ـ البلاذري، انساب، ج٥، ص١٤٥. وقد عبر البعض عن ذلك بقوله: "أراد مروان أن يصغر بذلك خالد فيسقط عن درجة الخلافة". انظر، ابن الطقطقي، الفخري، ص١٢١. قارن ابن الأثير،

فما كان منها على ما يروى إلا أن دبرت أمر قتله[1].

ويبدو أن مسألة وفاة مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ/٦٨٤م، قد ارتبطت بالصراع الذي كان قائماً بين والي حمص (خالد)، والخليفة مروان على السلطة [2]، فقد كان لمروان منزلة كبيرة في نظر أبنائه وأحفاده من بعده، وهذا ما عبر عنه البعض: "وساسان هو الذي يرجعون إليه كرجوع المروانية لمروان بن الحكم"[3]. ومما يشير إلى توتر العلاقات بين والي حمص والخليفة، ما رواه هشام بن عمار الدمشقي قال: "أقصى مروان خالداً بن يزيد بن معاوية وجفاه فدخل عليه يوماً وهو يتمثل:

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ... وما الدار بالدار التي كنت تعرف

وعلى أثر ذلك شتمه مروان وقال له: "ما الذي تنكر[4]"، وكان رد خالد والله لئن كان أُومن فما أدى الأمانة

الكامل، مج٤، ص١٥١. ومما يدل على أن مروان أراد إضعاف أمر خالد، ما روي أن خالد بن يزيد استنشد أبياتاً من الشعر في حضرة مروان بن الحكم فقال:

فلو بقيت خلائف آل حرب ... ولم يلبسهم الدهر المنونا

لأصبح ماء أهل الأرض عذباً ... وأصبح لحم دنياهم سمينا

فقال مروان "منونا" و"سمينا" والله أنها لقافية ما اضطرك إليها إلا العجز. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٦، ص١٥٧.

١ ـ فقيل أنها سقته سماً، وقيل وضعت وسادة على وجهه وقتلته هي وجواريها. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٧. البلاذري، انساب، ج٥، ص١٤٥. البلاذري، انساب، ج٥، ص ٥٩. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص ١٩٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٢. العجيلي، معرفة الثقاة، ج٢، ص١٠٥. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٢٠. وبعد أن ولي عبد الملك قال لفاختة أم خالد: "والله لولا أن يقول الناس أني قتلت بأبي امرأة لقتلتك بأمير المؤمنين". ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣٨. الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص٢٦٣.

٢ ـ بني حمد، بنو أمية ودورهم في الحياة العامة، ص١٤٢.

٣ ـ وكان ذلك في معرض الحديث عن ملوك فارس. البكري، المسالك، ج١، ص٢٨١.

٤ ـ البلاذري، انساب، ج٥، ص ١٥٨. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦١١. ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٣، ص١٣٨٩. الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص١٦٨. ووردت عبارة "تنح يا ابن الرطبة" عند ابن سعد،

ولا أحسن"[1]. وروى هشام بن محمد الكلبي أن سبب سوء العلاقة بين الطرفين في هذا الوقت هو غدر مروان بخالد فيما وعده من ولاية العهد[2]، وبيعته لابنه عبد الملك[3]، وأن مروان كان يرى في ولاية خالد لحمص إبعاداً وجفاءً له.

وكان خالد يقول: "أما أني أرى ثأري من مروان صباح مساء ولو أشاء أزيله لأزلته"[4]، ويبدو أن العلاقة بين الطرفين أصابها التوتر في أعقاب تخلي مروان عن مقررات الجابية الأمر الذي أقلق وأزعج الفرع السفياني، وزاد الأمر سوءاً بعد أن تمت مبايعة عبد الملك، وهذا الأمر أقلق وأزعج عمرو بن سعيد الأشدق الشخصية الثانية المرشحة للخلافة بعد خالد ضمن قرارات الجابية.

فبايع مروان لابنيه عبد الملك ولعبد العزيز من بعده، ونقض بيعة خالد، وذلك بعد أن قام مروان بإقناع حسان بن مالك بن بحدل الكلبي المطالب بخلافة السفيانيين بإقناعه بالترغيب والترهيب بالتخلي عن فكرته[5]، فلما مات مروان

الطبقات، مج٥، ص٤٣. الأصفهاني، الأغاني، مج١٧، ص٢٦٢. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٧٠. ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص٢٢٠.

١ ـ البلاذري، انساب، ج٥، ص ١٥٨. ابن الأثير، أسد الغابة، مج٥، ص١٤٥.

٢ ـ البلاذري، انساب، ج٥، ص ١٥٩.

٣ ـ المسعودي، مروج، ج٣، ص٩٨.

٤ ـ ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٩١.

٥ ـ البياسي، الأعلام، ج٢، ص٢٥٥. فيروي عوانه: " لما هزم عمرو بن سعيد مصعب بن الزبير، حين وجهه أخوه عبد الله إلى فلسطين، وانصرف راجعاً إلى مروان، ومروان يومئذ بدمشق قد غلب على الشام كلها ومصر، وبلغ مروان أن عمراً يقول: "أن هذا الأمر لي من بعد مروان، ويدعي أنه كان قد وعده وعداً، فدعا مروان حسان بن مالك بن بحدل فأخبره أنه يريد أن يبايع لعبد الملك، ولعبد العزيز ابنيه، وأخبره بما كان من الأشدق، فقال: أنا أكفيك عمراً، فلما اجتمع الناس عند مروان، قام ابن بحدل فقال: إنه قد بلغنا أن رجالاً يتمنون أماني، قوموا فبايعوا لعبد الملك ولعبد العزيز من بعده، فقام الناس فبايعوهم، وفي الوقت الذي كان خالد بن يزيد يقول الأمر لي بعد مروان". البلاذري، انساب، ج٥، ص ١٥٠. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦١٠. الفسوي، المعرفة والتاريخ، مج٣، ص٣٢٦.

سنة ٦٥هـ /٦٨٤م[١]، تولى الخلافة عبد الملك وتولى أخاه عبد العزيز مصر فلم يزل عبد العزيز عليها حتى مات[٢].

وتجدرا لإشارة إلى وجود مواقف تشير إلى عدم رضا بعض رجالات الفرع السفياني عن خلافة مروان، بل والوقوف في صف المعارضة لخلافة مروان، ومن ذلك: أن عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان المرشح السفياني الثاني بعد خالد، كان قد خرج وقاتل إلى جانب الضحاك بن قيس ضد مروان بن الحكم في مرج راهط، فكان عبد الله يقف إلى جانب ابن الزبير، فقال له عمرو بن سعيد الأشدق يوماً: "يا أبا سليمان نحن نقاتل لنشدد ملككم، وأنت تقاتل لتضعفه". وبعد هزيمة وقتل ابن الزبير أمنه عبد الملك بعد هروبه[٣]، وهذا يدل على أن الفرع السفياني لم يكن ليقبل بخلافة الفرع المرواني، وأن قبول خالد كان مؤقتاً، حتى يتأكد من مدى صدق قرارات الجابية، كما يستفاد من رواية المدائني أن عبد الله بن معاوية لما رأى أن مروان بايع لولديه وقف مسانداً إلى جانب مصعب بن الزبير ضد عبد الملك بن مروان[٤]. وتأكد من أن الجابية كانت تهدف إلى نفي أخاه إلى حمص، لإبعاده عن السياسة.

وكما أشرت سالفاً إلى وقوف عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى جانب خاله عبد الله بن الزبير، ويبدو أنه قد اختلف مع خاله في الإقامة في مكة، ولما احتضر عثمان بن عنبسة قال لابنه عبد الله: "يا بني الحق بقومك، فإن أباك لم يغتبط بفراقهم". وأوصى إلى خالد بن يزيد بن معاوية وهو بالشام، فعندما دخل عبد الله

---

١ ـ كانت مدة خلافة مروان: ستة أشهر. ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٤٣. ثمانية أشهر. ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٤٣. تسعة أشهر وأيام. الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦١١. المسعودي، مروج، ج٣، ص٩٨. سنة. البلاذري، انساب، ج٥، ص ١٤٥. وكان عمره عند وفاته: ثلاث وستون سنة. المسعودي، مروج، ج٣، ص٩٨. أربع وستون سنة. ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٤٣. ثمان وستون سنة. ابن عبد البر، الاستيعاب، ق٣، ص٣٨٩.

٢ ـ البلاذري، انساب، ج٥، ص ١٤٥.

٣ ـ البلاذري، انساب، ج٥، ص ١٤١. البلاذري، انساب ق٤، ج١، ص ٢٨٥. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٣٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٣، ص٢٠٩.

٤ ـ البلاذري، انساب، ق٤، ج١، ص ٢٨٥.

على خالد كان قد قدمه إلى عبد الملك، فلما رآه عبد الملك قال: "لا رحم الله أباك، ولا جبر يتمك، والله لا أدع لك خضراء ولا بيضاء إلا قبضتها" قال: فجمع الغلام رداءه ثم رما به وجه عبد الملك، وقال: هذا أولاً، قال: وخرج حاسراً فقال عبد الملك للوليد رجل والله، فاجعله في صحابتك"[1].

وتظهر من هذه المواقف ردة الفعل السفيانية، بعدم الرضا بما حدث وبأنه كان بمثابة صدمة وألم شديد لم يكن أبناء الفرع السفياني، يتوقعونه، بعدما رأوا من خلافة جدهم معاوية من إنجازات وهيبة، ثم في والدهم يزيد، فكانت ردة فعلهم في محاولة اقتناص الفرصة الملائمة لاستعادة خلافتهم، ولكن الفرع المرواني كان يدرك ذلك الأمر الذي كان يشكل نقطة إخفاق سفيانية إزاء تلك المواجهة.

وبوفاة مروان، بايع أهل الشام لعبد الملك بن مروان، فكانت الشام ومصر في يد عبد الملك، وكان العراق والحجاز بيد ابن الزبير، وكانت الفتنة بينهم إلى أن قتل ابن الزبير سنة ٧٣هـ/٦٩٢م، واستقام الأمر بعد ذلك لعبد الملك[2].

---

١ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣١، ص٣ـ٤.

٢ ـ ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٤٣.

حول ثورة ابن الزبير انظر: ابن حبيب المحبر، ص٢٢. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٠١ـ٢٠٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٤٨ـ١٥٧. الأصفهاني، الأغاني، مج١٣، ص٣١٣. القضاعي، عيون المعارف، ص١٦٣ ـ١٦٤. ابن حزم، رسالة أسماء الخلفاء، ج٢، ص١٤٢. ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص١١١. ابن الطقطقي، الفخري، ص١٢٣. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٤٠. ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٧٠. وتجدر الإشارة إلى أن ثورة عبد الله بن الزبير، دفعت عبد الملك لمصالحة الروم على أن يؤدي إليهم كل جمعة ألف دينار، وقيل هو اول وهن دخل على المسلمين. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج١، ص٣٠٠. وقيل كل يوم ألف دينار، وفرساً ومملوكاً. ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، ص١١٢. اليافعي مرآة الجنان، ج١، ص١١٧. وكذلك كان يدفع إلى الجراجمة ألف دينار كل جمعة. ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص٢٣٢. وقيل أن معاوية بن أبي سفيان فعل مثل ذلك أيام صفين. أبو عبد الله الأزرق، بدائع السلك، ج٢، ص٥٩. وانظر: الرويضي (محمود): حركة عبد الله بن الزبير، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٠م، ص٧٦ـ٢٤٤.

وقد شاركت جميع أجناد الشام في قتال مصعب بن الزبير، وعبد الله بن الزبير، وعندما قاد الحجاج جيشاً شامياً[1] من أهل الشام[2] وكان والي حمص خالد بن يزيد على ميسرة عبد الملك بن مروان في قتاله مصعب بن الزبير سنة ٧١هـ/٦٩٠م[3]، وبعد قتل مصعب دخل عبد الملك الكوفة، وكان والي حمص خالد بن يزيد بن معاوية ممن شفع لبعض أهل الكوفة، عند الخليفة عبد الملك، فوافقه عبد الملك على شفاعته[4]، كما شارك الحمصيون في حصار عبد الله بن الزبير، فكانوا على الباب الذي يواجه باب الكعبة، باب بني جمح[5]، وكانوا يدخلون كتائب في كل مرة خمسمائة[6].

وبذلك وصل الفرع المرواني لمنصب الخلافة، وتثبتت لهم دعائمه وأركانه بعد تطلع طال أمده، فما هي الإجراءات التي اتخذها بنو مروان حال وصولهم للخلافة لمواجهة أي ردة فعل سفيانية تحاول استعادة خلافتهم، جاعلة من حمص قاعدة للانطلاق؟.

خامساً: موقف الحمصيين من التحركات والتمردات في الحقبة المروانية.

١- حركة التوابين

كان مقتل الحسين بن علي نقطة البدء في نشأة هذه الحركة فقد رأى شيعة الكوفة بعد أن خذلوا الحسين أنه لن يغسل عنهم عار فعلتهم إلا قتل قتلته أو الموت دون ذلك، وتلاقت الشيعة بالتلاوم والتندُّم، ورأت أنها أخطأت خطأً كبيراً بدعائهم الحسين إلى النصرة وتركهم إجابته، فعندها تجمعوا بالكوفة، وتجمع

---

١ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٤.

٢ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٠٢.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٥٦.

٤ ـ وممن شفع لهم الهذيل بن زفر بن الحارث، وعمرو بن زيد الحكمي. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٦٤.

٥ ـ الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٧، ص٢٥٥. الفاسي، العقد الثمين، ج٤، ص٥٨.

٦ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٩٠.

بعضهم عند قبر الحسين طالبين التوبة والغفران من الله وتسموا بالتوابين[1]. آخذين بقول الله عز وجل: "وإذا قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم، فاقتلوا أنفسكم، ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم"[2].

وقد تزعم هذه الحركة سليمان بن صرد الخزاعي، وهو احد صحابة الرسول محمد ﷺ وكان ممن حثهم على الطلب بدم الحسين وسار بهم إلى عين الوردة[3]. وكان مروان بن الحكم يسعى لإخضاع العراق بإرسال جيش عبيد الله بن زياد الذي تابع سيره بوفاة مروان وولاية ابنه عبد الملك للخلافة، فعندما علم ابن زياد بمكان سليمان بن صرد، وجه إليه الحصين بن نمير السكوني، والي حمص ومعه عدد كبير من أهل حمص قدر عددهم بنحو اثني عشر ألفاً، وقد أعد الحصين خطة عسكرية وهيأ الميمنة بقيادة جبلة بن عبد الله، والميسرة بقيادة ربيعة بن المخارق، وقبل القتال كان سليمان بن صرد قد عرض شروطاً منها خلع طاعة عبد الملك بن مروان، وأن يستلم عبيد الله بن زياد ويقتله ثأراً بإخوانه، وأن يخرج من العراق عمال ابن الزبير، ثم يكون الخليفة من آل البيت[4].

غير أن مثل هذه الشروط لم تجد أذناً صاغية من جانب الحصين بن نمير، لأنها شروط غير قابلة للتحقيق، وأن من يملي مثل هذه الشروط يجب أن يمثل الجانب الأقوى، الأمر الذي عجل القتال، فخرج ابن ذي الكلاع الحمصي في ثمانية آلاف واجتمع عند الحصين بن نمير، ومعه أدهم بن محرز الباهلي، وانتهى الأمر بالقتال وهزيمة سليمان بن صرد، وقتله، والقضاء على حركته سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م[5]. ثم قدم أدهم بن محرز الباهلي الحمصي على عبد الملك، وهنأه ببشارة النصر[6].

لقد مثل الحمصيون دوراً بارزاً في القضاء على هذه الحركة فالقائد والي

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٥٢. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٥.

٢ ـ سورة البقرة، الآية ٥٤.

٣ ـ عين الوردة: هي مدينة رأس العين في الجزيرة السورية. الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص٢٠٣.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٩٨.

٥ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٩٩.

٦ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٦٠٥.

حمص (الحصين)، وابن ذي الكلاع ممن حاول أن يجعل لنفسه في هذه الحركة دوراً عندما وقع خلاف بينه وبين الحصين حول قيادة الجند، فعبيد الله قد ولى الحصين على جماعة الناس، وابن ذي الكلاع رفض ولايته، قائلاً: " ما كنت لتولىّ عليّ " وعندما وصل خلافهم لعبيد الله، وبّخ ابن ذي الكلاع وجعله تحت قيادة الحصين، فكان اجتماعهم سبباً في نصرتهم[1].

٣- حركة المختار الثقفي[2].

ساهم الحمصيون مساهمة واضحة في القضاء على حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي غادر الحجاز بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية، متجهاً إلى الكوفة، متذرعاً بالمطالبة بدم الحسين بن علي، وقد لاقت دعوته استجابة عند الكوفيين عندما أبلغهم أنه موفد من قبل محمد بن الحنفية، فما كان من مروان بن الحكم ثم الخليفة عبد الملك بن مروان إلا أن وجها للمختار جيشاً كبيراً بقيادة عبيد الله بن زياد، غير أن هذا الجيش أخفق في مهمته.

وقد تمثلت مشاركة الحمصيين من خلال إسهامات ولاة وقادة حمص في الوقوف إلى جانب عبيد الله بن زياد أثناء القتال.

فعندما خرج شمر بن ذي الجوشن في ألفين، سرّح له المختار سعيد بن منقذ الهمذاني، وكانت خطة شمر العسكرية عدم القتال في الشوارع الضيقة، وإنما

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٩٧.

٢ ـ كان المختار بن عبيد الثقفي، قد مال للحسين بن علي بن أبي طالب عندما خرج مسلم بن عقيل إلى الكوفة، وكان قد بايعه سراً وأنزله في منزله، فما كان من والي العراق عبيد الله بن زياد إلا أن سجنه وظل في سجنه حتى قتل الحسين بن علي، ثم أخرجه الخليفة يزيد بن معاوية، وخرج إلى الحجاز وهناك تقرب من ابن الزبير وبايعه، وشارك إلى جانب ابن الزبير عند حصار الحصين بن نمير لمكة، فقاتل إلى جانب ابن الزبير، حتى توفي يزيد وانتهاء حصار الحصين، ثم خرج المختار إلى الكوفة مدعياً أنه موفد إليهم من قبل محمد بن الحنفية، إلى أن استطاع أن يجمع حوله عدداً كبيراً لقتال ابن زياد. انظر: اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٦ـ١٤٠. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٨١.

أراد جيشه القتال في ساحة متسعة حتى لا يطبق عليها جيش المختار، غير أن خطة شمر أخفقت، وانتهى الأمر بقتل شمر[1].

والجدير بالذكر أن المختار كان يخشى أن يطبق عليه جيشان احدهما الجيش الشامي، والآخر جيش مصعب بن الزبير، فما كان منه إلا أن هادن ابن الزبير، وكايده[2]، وقد جهز ابن زياد جيشاً فكان على ميمنته الحصين بن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع على الخيل، ومن معهم من جيش حمص وكان أغلب الجند المشاركين من حمص، وقد عبر عن ذلك أتباع المختار قائلين: " فإن ابن زياد قد جاءكم في جند أهل الشام الأعظم، وبحلتهم وفرسانهم وأشرافهم". وقد غلب اسم المشاركين الحمصيين على هذا الجند. وقدر عدد الجند بثمانين ألفاً[3]، وقيل أربعين ألفاً[4].

وتمكن المختار من قتل عبيد الله بن زياد والحصين وشرحبيل في معركة خازر[5] ٦٧هـ/٦٨٦م، ومن كان معه من أهل الشام، وأغلبهم من قبيلة كلب، وكانت قبيلة قيس تشكل غالبية جيش المختار بالإضافة للموالي والأعاجم[6].

واستمرت حركة المختار حتى قضى عليها مصعب بن الزبير وقتل المختار[7].

والجدير بالذكر أن المختار كان متزوجاً من عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري، بنت والي حمص، النعمان بن بشير التي رفضت طلب مصعب بن الزبير، بعد قتل المختار، البراءة من زوجها، فما كان من مصعب إلا أن قتلها، وعندما

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٦-٥٣.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٧٢. Muir, op cit, p٣٣٩.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤٣.

٤ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٩.

٥ ـ خازر: نهر بين إربل والموصل في العراق. الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٣٧٦.

٦ ـ خليفة، تاريخ، ص١٦٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٥٩. البخاري، التاريخ الصغير، ج١، ص١٧٨. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٨٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٢، ص٤٥٤. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٩. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٨٨.

٧ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٢. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١١٤. الذهبي، دول الإسلام، ص٥١. ابن الطقطقي، الفخري، ص١٢٢.

احتج أخوها أبان بن النعمان بن بشير على قتلها، عفا عنه مصعب بن الزبير[1].

٣- حركة الأشدق (٦٩-٧٠هـ/ ٦٨٨-٦٨٩م)[2]

استغل عمرو بن سعيد الظروف التي أعقبت وفاة يزيد بن معاوية، ليظهر على المسرح السياسي، كأحد الشخصيات الأموية التي تتمتع بمكانة كبيرة في الدولة، وخاصة بعد تنازل معاوية الثاني عن الخلافة، وكانت الظروف ملائمة لعمرو كي يلعب دوراً رياديا في الحياة السياسية، إذ أن تنازل معاوية الثاني كان حدثاً مفاجئاً أذهل رجال بني أمية[3].

ففي الوقت الذي أراد فيه عبد الملك تثبيت حكمه بالقضاء على الحركات كحركة مصعب بن الزبير في العراق، حيث قيل إنه سار إلى قرقيسيا[4] يريد قتال

---

١ - الطبري، تاريخ، ج٦، ص١١٢.

٢ - عمرو بن سعيد الأشدق، بن أبي أحيحة بن العاص بن أمية بن عبد شمس، تولى المدينة لمعاوية بن أبي سفيان بدل مروان بن الحكم، ثم أنه تقلد إدارة المدينة في خلافة يزيد بن معاوية، ولعب دوراً بارزاً في الوقوف إلى جانب مروان بن الحكم، والبيعة له في أعقاب وفاة معاوية بن يزيد، على أن يكون أحد المرشحين للخلافة بعد وفاة مروان، وكان يقول الأمر لي بعد مروان، غير أن مبايعة مروان لولديه، كانت من أسباب حركة الأشدق على عبد الملك. لمزيد من التفاصيل حول حركة الأشدق انظر: ابن سعد الطبقات، مج٥، ص٢٢٧. الجاحظ، التاج، ص٦٥-٦٦ (منسوب). الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٤٥٠-٤٥١. ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص١٩٣-٢٠٠. الفسوي، المعرفة والتاريخ، مج٣، ص٣٢٦. اليعقوبي، تاريخ، مج٢، ص٢٧٠. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٤٣-٤٤. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٢. الطبري، ج٦، ص١٤٢-١٤٩. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج١، ص٢٩٩-٣٠٠. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص٢٩٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٢٣. وانظر: الإسكافي (محمد بن عبد الله الخطيب)، (ت ٤٢١هـ /١٠٣٠م): لطف التدبير، حققه وعلق عليه أحمد عبد الباقي، مكتبة المثنى ببغداد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٤م، ٢٢٠-٢٢١. وانظر: طه (صلاح الدين أمين): حركة عمرو بن الأشدق في طلب الخلافة (٦٩-٧٠هـ / ٦٨٨-٦٨٩م)، المؤرخ العربي، بغداد، مطبعة دار القادسية، السنة الثانية عشرة، ١٩٨٦م، العدد ٢٧، ص٦٠-٦٨.

٣ - طه، حركة الأشدق، ص٦٢.

٤ - قرقيسيا، بلدة تقع عند التقاء نهر الخابور بالفرات. الاصطخري، المصدر السابق، ٥٤. البكري، المصدر السابق، ج٣، ص١٠٦٦. الحموي، المصدر السابق، ج٤، ص٣٧٣.

زفر بن الحارث الكلابي[1]، وخلف الأشدق بدمشق بلغه أن الأشدق دعا الناس إلى بيعة نفسه فعاد عبد الملك إلى دمشق[2]، وعلى أية حال فقد عاد الأشدق إلى دمشق أثناء عدم وجود عبد الملك فيها، وكان استخلف على دمشق عبد الرحمن بن أم الحكم الذي هرب عند عودة الأشدق إلى دمشق[3].

وأعلن عمرو بن سعيد الأشدق حركته في دمشق مطالباً بالخلافة لنفسه وفقاً لمقررات الجابية، الأمر الذي دفع عبد الملك إلى العودة إلى دمشق ومراسلة عمرو بن سعيد، على شروط منها أن يكونا مشتركين في الملك، وأن يكون مع كل عامل لعبد الملك شريك لعمرو بن سعيد، وعلى أن اسم الخلافة لعبد الملك، فإن مات عبد الملك فالخليفة من بعده عمرو بن سعيد[4]، وقيل إنه وعده بأن يكون ولي عهده[5]. فوافق الأشدق على ذلك وفتحت أبواب دمشق.

ولكن ما هو موقف خالد بن يزيد ولي عهد الخليفة مروان بن الحكم، ووالي حمص والمقدم على الأشدق في الخلافة وفق مقررات الجابية؟.

يبدو أن خالداً ممثل الفرع السفياني كان يسعى لاستعادة حق السفيانيين في الخلافة، وأراد إيقاع النزاع بين عبد الملك، والأشدق، وانتظار ما ستؤول إليه النتيجة لاتخاذ القرار المناسب، فيروى أنه لما سار عبد الملك من دمشق إلى العراق لقتال مصعب اصطحب معه خالداً والأشدق، وهما في الطريق كان خالد قد انفرد بالأشدق، وتحدثا في خدعة عبد الملك لهما، وما قطعت لهم من مواثيق باطلة في الجابية، فقرر الأشدق عندها العودة إلى دمشق، وكان خالد ممن شجعه وحثه على ذلك، فرجع عمرو إلى دمشق، ودخلها، وتحصّن بها ستة عشر يوماً مما اضطر عبد الملك إلى العودة ومكاتبته ومهادنته[6]. وكان موقف أهل دمشق مؤيداً للأشدق، لما له من مكانة

---

١ ـ ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤٤.

٢ ـ المسعودي، مروج، ج٣، ص١١٠. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٤٠.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٤١.

٤ ـ خليفة، تاريخ، ص١٦٦. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٦٢.

٥ ـ خليفة، تاريخ، ص١٦٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١١٠.

٦ ـ ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٢٧. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص١٣٨٤.

عندهم فقد كان أحب الناس إلى أهل الشام، وكانوا يسمعون له ويطيعون[1].

ويبدو أن عمرو بن سعيد استغل الخلاف الذي كان قائماً بين الفرع السفياني والفرع المرواني على السلطة، فعمل على استمالة الفرع السفياني، والتقرب منهم، ويبدو كذلك أن الفرع السفياني ساند الأشدق لسببين: الأول، لأن الأشدق يرتبط بالفرع السفياني برابطة النسب، فقد كان متزوجاً من رملة الصغرى بنت أبي سفيان[2]، ولأن نجاح الأشدق في حركته يعني استعادة حق الفرع السفياني بالرجوع لمقررات الجابية، وبالجملة فإن مساندة الفرع السفياني للأشدق تعبر على الأقل عن عدم رضا الفرع السفياني عن خلافة مروان بن الحكم، وأن ولاية حمص لم تكن لترضي السفيانيين.

وظهرت مساندة الفرع السفياني للأشدق من خلال موقف خالد بن يزيد بن معاوية المشجع لعمرو بن سعيد بحركته في دمشق[3]، ومن خلال موقف عبد الله بن يزيد من معاوية الذي نصح عمرو بن سعيد بعدم قبول الذهاب إلى عبد الملك، على أثر المراسلات التي جرت بينهم، عندما تحصن عمرو بدمشق، وكان عبد الله بن يزيد بن معاوية زوج أم موسى بنت عمرو بن سعيد[4]، وفي الوقت نفسه كانت أم البنين بنت الحكم بن العاص أم عمرو بن سعيد، وعمة عبد الملك بن مروان[5]، فعبد الملك يكون بذلك ابن خال عمرو بن سعيد الأشدق، غير أن تلك القرابة، وإن كانت فإنها ضعيفة أمام الأطماع السياسية. لذلك فإن عبد الملك لاطفه وراسله وحلف له أن يكون الخليفة من بعده، ثم كاد له[6].

ورغم محاولة يحيى بن سعيد الذي استعان بألف رجل من أهل حمص في إنقاذ أخوه الأشدق، وبالرغم مما جرى بينهم وبين شرطة عبد الملك، وعلى رأسهم الوليد

---

١ ـ ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٣٨.

٢ ـ ابن حبيب، المحبر، ص١٠٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩، ص١٥٣.

٣ ـ ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٢٢٧. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص١٣٨٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٦، ص٤٢.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٤٢. وانظر: البياسي، الأعلام، ج٢، ص٤٤٤. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص٢٩٨.

٥ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٤٤١. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٤٧.

٦ ـ الذهبي، دول الإسلام، ص٥٢.

بن عبد الملك من مناوشات[1]، إلا أن ذلك لم يكن ليحول دون قتل الأشدق بعد ما كاد له عبد الملك بن مروان[2].

وروي أن خالد بن يزيد بن معاوية كان متعجباً من قتل عبد الملك لعمرو بن الأشدق فأجابه عبد الملك:

دانيتُـــه ليـــسكن روعـــه فأصُـول صَـوَلة حـازمٍ مُـستمكن

غـضباً ومحميـةً ليـدين إنَّـه لـيسَ المُسيءُ سبيلُه كالمحُسنِ[3]

ومن خلال موقف الفرع السفياني المؤيد لحركة الأشدق، أدرك عبد الملك ما في نفس الفرع السفياني، لذلك اصطحب معه ـ كما فعل مروان عندما اصطحب خالد معه لمصر. بعدما قتل الأشدق وذهب لقتال مصعب بن الزبير في العراق، أفراد الفرع السفياني، فكان عبد الله بن يزيد بن معاوية على ميمنة الجيش، وخالد بن يزيد بن معاوية على ميسرة الجيش[4].

ربما خشي عبد الملك أن يقوم هؤلاء بحركة كحركة الأشدق إذا ما خرج لقتال مصعب دونهم، وفي الوقت نفسه فقد حجم قتل الأشدق آمال خالد بن يزيد، في استعادة السفيانيين للخلافة.

كما أن الخليفة عبد الملك بن مروان، كان قد اصطحب معه خالد بن يزيد بن معاوية عندما توجه لإخضاع زفر بن الحارث الكلابي على أثر ثورته بقرقيسيا[5].

وقد كشفت حركة الأشدق أن أفراد الفرع السفياني لم يعد لهم شأن سياسي في

---

١ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٤٤٨.

٢ ـ البخاري، التاريخ الكبير، مج٦، ق٢، ج٣، ص٣٣٨. مؤرج السدوسي، حذف من نسب قريش، ص٣٥. المصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٧٩ .

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٤٨. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص٣٠٣. وقد علل الثعالبي سبب قتل عبد الملك للأشدق: "من أسرار المُلك، أن الملك لا يستحكم هيبته، ولا تكمل سياسته، ولا يفخم سلطانه، ما لم يفتك برجل كبير من قواده، ورأس عظيم من رؤساء عساكره، إذا اشتم منه رائحة العصيان، وشام فيه بارقة الخلاف، كما فعل عبد الملك بعمرو بن سعيد الأشدق". آداب الملوك، ص٩٧.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٥٦.

٥ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٦٤.

دمشق، وأن ملاذهم الوحيد هو حمص، لصلة القرابة والنسب مع أخوالهم الكلبيين، ولبعد المسافة عن دمشق، الأمر الذي قابله المروانيون بتعيين والٍ مرواني على حمص لكبح أي تحرك مماثل للأشدق، وقد ظل السفيانيون يتحينون الفرص لاستعادة خلافتهم، خاصة في وقت حدوث نزاع داخلي بين بني مروان، كما حدث في نهاية العصر الأموي، لذلك فإن الحديث عن ولاة حمص السفيانيين تحديداً يكشف أهمية حمص السياسية خاصة فيما بعد ١٢٥هـ /٧٤٢م، وبذلك فإن عبد الملك أصبح أكثر حرصاً فعزل خالد بن يزيد عن حمص وولاها ابنه عبد الله بن عبد الملك.

٤- حركة الجراجمة:

وإلى الشمال من قرقيسيا كانت الجراجمة في بلدة جرجومة في جبل اللكام قرب أنطاكية، وكان موقف الجراجمة متذبذباً فهم يميلون إلى الروم أحياناً وإلى العرب أحياناً أخرى، وقد كان من شروط عقد الصلح مع المسلمين عند الفتح أن يكونوا أعواناً على عدوهم الرومان.

وكان معاوية بن أبي سفيان عندما شغل بحرب أهل العراق قد ثاروا عليه فصالحهم على أن يؤدي إليهم مالاً وارتهن منهم رهناء. فلما توفي مروان بن الحكم وتولى ابنه عبد الملك، وكثرت الاضطرابات الداخلية، وانعدم الأمن استغل الجراجمة الفرصة وكاتبوا الروم، مما اضطر عبد الملك إلى مصالحتهم على أن يدفع لهم كل جمعة ألف دينار، وذلك في عام ٧٠هـ /٦٨٩م، وبعد استتباب الأمن الداخلي أرسل عبد الملك جيشاً بقيادة والي حمص صفوان بن عمرو[١] واستطاع أن يحرز انتصاراً حاسماً على الجراجمة وأعوانهم الروم، وأعطى الأمان لمن بقي منهم، فتفرقوا في قرى حمص ودمشق، وعادت غالبيتهم إلى جرجومة[٢].

وفي سنة ٨٩هـ /٧٠٧م، ثار الجراجمة من جديد عندما جاءهم مدد من الروم، فوجه إليهم الوليد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك، فانتصر عليهم ثم سمح

---

١ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٨، ص١٢٣.

٢ ـ البلاذري، فتوح، ص١٦٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥، ص٦٩. أسعد، تاريخ حمص، ق٢، ص٧٥.

لهم بالإقامة بعد هدم مدينتهم، فسار بعضهم إلى قرى حمص، وأقاموا فيها[1].

وتؤكد هذه الأخبار أن حمص شاركت في إخماد هذه الحركة كما أن حمص كانت ملاذاً للجراجمة ومواليهم وعبيدهم.

٥- حركة ابن الأشعث[2]

وعندما ثار عبد الرحمن بن الأشعث، وخلع عبد الملك بن مروان، كتب الحجاج إلى عبد الملك، بذلك، ويبدو أن خالداً كان من جلساء عبد الملك، بدليل أنه عندما وصل كتاب الحجاج لعبد الملك عرض عبد الملك الكتاب على خالد بن يزيد بن معاوية، الذي نصح عبد الملك قائلاً: "إن كان هذا الحدث من قبل سجستان فلا تخفه، وإن كان من قبل خراسان تخوفته"[3]. وهذه النصيحة من خالد لعبد الملك تدل على معرفة خالد بأهل المناطق وقبائلهم، أو على الأقل علمه أن مثل هذه المناطق لا تشكل خطراً على الخلافة إذ كانت في سجستان، في حين أنها قد تهدد الدولة إذا كانت في خراسان، وربما لعامل المسافة شأن كبير في ذلك، وهذا دلالة على معرفة والي حمص خالد بالمنطقة وبأهميتها، ومن ثم

---

١ ـ البلاذري، فتوح، ص١٦٥. خماش، دراسات، ص٢٦.

٢ ـ حركة عبد الرحمن بن الأشعث: كان للظروف العسكرية التي حدثت في جبهة المشرق، أثرها البالغ في ظهور عبد الرحمن بن الأشعث على الساحة السياسية، وقيامه بحركة تمرد ضد السلطة الأموية التي مثلها يوم ذاك عبد الملك بن مروان، ففي مدينة كابل في أفغانستان، قامت حركة مناوئة للعرب تزعمها رتبيل، وعندها عهد الحجاج لابن الأشعث بالقضاء على هذا التمرد، غير أن خلافاً وقع بين الحجاج وابن الأشعث، الأمر الذي أدى إلى انقلاب ابن الأشعث على الدولة الأموية، الأمر الذي دفع الحجاج لإرسال الجيوش لقتال ابن الأشعث، وعند إخفاقها قرر الخليفة عبد الملك التوجه لقتال ابن الأشعث، وقد كلفت هذه الحركة الدولة الأموية أموالاً كثيرة، حتى تم القضاء عليها. عاقل، دراسات في تاريخ العصر الأموي، ص١٢٤ـ ١٣٥. لمزيد من التفاصيل انظر: خليفة، تاريخ، ص١٧٦ـ ١٨٢. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٨٩ ـ٢٩٤. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٧٩. وانظر: عبيد (شهرزاد): حركة عبد الرحمن بن محمد الأشعث (٨١ـ٨٣هـ / ٧٠٠ـ٧٠٢م)، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٨م، ص١ـ١١٨.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٣٩. ابن الأثير، الكامل، مج٤، ص٤٦٤.

مشاركة خالد في القضاء على هذه الحركة.

فما كان من عبد الملك إلا أن وجه إلى الحجاج عشرة آلاف رجل من فرسان أهل الشام لمحاربة عبد الرحمن بن الأشعث، حيث بعث عبد الملك إلى أخيه محمد بن مروان، وكان بأرض الموصل وإلى ابنه عبد الله بن عبد الملك والي حمص، أمرهما بالقدوم إلى الحجاج، فاجتمعا لديه في جنده وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق نزع الحجاج عنهم، وإجراء ما يرونه مناسباً من شروط، فلما اجتمعا مع الحجاج خرج والي حمص عبد الله بن عبد الملك: فأخبرهم برأي الخليفة، وعندما رفض الأشعث مقولتهم، انضوى محمد بن مروان، وعبد الله بن عبد الملك تحت إمرة الحجاج وفق أوامر عبد الملك، وانتهت الحركة بقتل الأشعث في دير الجماجم ثم عاد عبد الله بن عبد الملك إلى ولاية حمص[1].

ويبدو أن حمص كانت ملاذاً لابن الأشعث فبعد القضاء على حركته، قدم عبد الملك إلى حمص، فقطع رأس إسحاق ابن الأشعث، فاغضب ذلك أهل حمص، فجمعهم في صلاة جامعة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "ما حدث بلغني عنكم يا أهل الكويفة؟. فقام إليه عبد الرحمن بن ذي الكلاع فقال: يا أمير المؤمنين لسنا بأهل الكويفة. ولكنا أهل الكوفة الذين قاتلنا معك مصعب بن الزبير، وأنت يومئذ تقول: والله يا أهل حمص لأواسينكم، ولو بما ترك مروان، وعليك يومئذ قباؤك الأصفر. قال: وأخرج إليه رجل من مجلس ميتم ساعداً له نحيفة فقال: يا أميرالمؤمنين اعزل عنا سفيهك يحيى بن الحكم، وإلا بعثنا إليك بأكثره شعراً. فلما قضى عبد الملك خطبته، إلتفت إلى يحيى بن الحكم فقال له: ارتحل عن جوار القوم، فقد سمعت ما قيل[2]. وسألهم عن مبتغاهم فطالبوا بعزل واليهم فعزله[3].

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٤٩ـ٣٦٥. الدينوري، الأخبار الطوال، ص٢٩١. المرعشي (الحسين بن محمد)، (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م): كتاب غرر السير، حققه وقدم له سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص٨٦.

٢ ـ أبو زرعة، تاريخ أبو زرعة، ج١، ص٢٣٦.

٣ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٤، ص١٢٣.

وتظهر هذا الرواية موقف أهل حمص الرافض لقتل من يأوي إليهم محتمياً، وإن قتل عبد الملك لإسحاق مما أثار موقفهم وأظهر رفضهم، مما دفع بعبد الملك أن يصعد المنبر ويقارنهم بأهل الكوفة لطلبهم عزل الولاة بين الحين والآخر، ثم يتزعم الحديث رأس أهل حمص عبد الرحمن بن ذي الكلاع، وثم يُظهر رجلٌ أخر الرغبة في عزل الوالي، وكان ذلك من الأمور التي حققها لهم عبد الملك. فعزل يحيى بن الحكم عن ولاية حمص.

٦- حركة يزيد بن المهلب

وقد شارك الحمصيون في القضاء على حركة يزيد بن المهلب في البصرة، الذي أخذ عامل يزيد بن عبد الملك ١٠١هـ /٧١٩م عدي بن أرطأة الفزاوي فحبسه، وخلع بيعة يزيد بن عبد الملك، فما كان من يزيد بن عبد الملك إلا أن بعث العباس بن الوليد والي حمص في أربعة آلاف فارس لمساندة جيش مسلمة بن عبد الملك لقتال ابن المهلب، وتمكنوا من قتله[١]، وكان الجيش في جمع عظيم من أهل الشام، والجزيرة وعدتهم ثمانون ألفاً. ويبدو أن يزيد بن عبد الملك أراد أن يشكر أجناد الشام ومنها جند حمص على حُسن بلائهم في القضاء على ثورة ابن المهلب، بأن أمر أن يطاف برؤوس القتلى في أجناد الشام[٢].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الحمصيين شاركوا في حفظ الأمن في الدولة الإسلامية، غير أن كثيراً من المصادر كانت تذكرها عموماً تحت اسم الجيش الشامي، أو أهل الشام، أو أجناد الشام، أو من خلال ذكر عدد الجيش الشامي المشارك، والمبالغة في هذا العدد توحي باشتراك أكثر أجناد الشام، كما أن اتصال حدود حمص مع العراق جعل من هذا الجند ركيزة هامة في إخضاع الثورات المختلفة[٣].

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٧٨-٦٠٧.

٢ ـ مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص٦٨-٧٤.

٣ ـ ففي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م كان الخوارج قد وقفوا إلى جانب عبد الله بن الزبير في مكة وقاتلوا معه والي حمص الحصين بن نمير السكوني، ثم عادوا إلى البصرة الطبري، تاريخ، ج٥، ص٥٦٣. كما شارك الحمصيون في القضاء على ثورات الخوارج الأزارقة ٧٧هـ. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٢٧٥. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٢٥٩. وكذلك ثورة بهلول بن بشر، وغيرها من الثورات. الطبري، تاريخ، ج٧، ص١٣٣. مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص١١١.

٧- حركة القدريين:

سلفت الإشارة إلى تأثر عمر المقصوص مؤدب معاوية بن يزيد بن معاوية بفكرة القدر، وتمسكه بها، وقد حاول رجال القدرية نشر أفكارهم في حمص وغيرها من مدن الشام، ولعل أبرز الأمثلة على ذلك ما أظهره غيلان من القدرية في خلافة عمر بن عبد العزيز[١]، وقد برز أمرهم بشكل واضح في أيام يزيد بن الوليد بن عبد الملك، الذي أرسل يعقوب بن عمير بن هانئ العنسي لأهل حمص، لإقناعهم بالوقوف إلى جانبه في خلع الوليد بن يزيد[٢]، وعندما رفض أهل حمص طلب يزيد وطالبوا بدم الخليفة المقتول الوليد بن يزيد وجه إليهم يزيد بن الوليد جيشاً لإخضاعهم لحكمه فما كان من أهل حمص إلا أن وثبوا على واليهم مروان بن عبد الله بن عبد الملك، وقتلوه وقتلوا ابنه[٣] عبد الملك واتهموه بالقدرية[٤]. وكانوا

---

١ ـ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٣٨٧.

٢ ـ الخولاني، تاريخ داريا، ص٧٦.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦٧. شهد العصر الأموي عدداً من الحركات الفلسفية الدينية، كان أبرزها في حمص القدرية، وهم القائلون بالقدر بمحض القدرة، أي قدرة الإنسان على اكتساب أعماله وهم منكرون للقضاء والقدر، فكيف يقدر الله الأفعال والمعاصي على الإنسان ثم يحاسبه عليها؟. وأول من قال بالقدر معبد الجهني، وخرج معبد مع ابن الأشعث على عبد الملك فأخذه الحجاج وقتله سنة ٨٠هـ/٦٩٩م، وكذلك غيلان الدمشقي. وأما سبب قتل أهل حمص لواليهم ما قيل " قام مروان بن عبد الله فقال: يا هؤلاء، إنكم خرجتم لجهاد عدوكم، والطلب بدم خليفتكم، وخرجتم مخرجاً أرجو أن يعظم الله به أجركم، ويحسن عليه ثوابكم، وقد نجم لكم منهم قرن، وسال إليكم منهم عنق، إن أنتم قطعتموه اتبعه ما بعده، وكنتم عليهم إجراء، وكانوا عليكم أهون، ولست أرى المضي إلى دمشق، وتخليف هذا الجيش خلفكم، فقال السمط بن ثابت: هذا والله العدو القريب الدار، يريد أن ينفض جماعتكم؛ وهو مايل للقدرية". ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٣٠٨. حمارنة (صالح): الحالة في حمص عشية سقوط الدولة الأموية، مجلة البحث التاريخي، تصدرها الجمعية التاريخية بحمص، العدد ٧، ٢٠٠٢م، ص١٣١-١٥٥.

٤ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٧، ص١٦٧.

قد هاجموا ثور بن يزيد الكلاعي، وأحرقوا منزله لكونه قدرياً[1].

وبذلك فإن الحمصيين كانوا يرفضون فكرة القدرية، ويحاربونها ويعدونها من الأفكار المتطرفة في الدين، حتى أن حمص كانت ملجأ لمعارضي القدرية، حيث يذكر ابن عساكر أن أبا جميل أحد من نزل حمص في نهاية الدولة الأموية، كان يسكن دمشق ثم رحل عنها إلى حمص لأن أصحابه رفضوا مجالسته لعدم اقتناعه بفكرة القدرية[2].

٨- حركة أعراب البادية

كان خالد بن الوليد قد حظي بفتح تدمر والقريتين، وأرك وغيرها من بادية الشام، ورغم أن بعض هذه المناطق قد أبدت نوعاً من المقاومة، إلا أنها وباشتداد الحصار عقدت مصالحة مع خالد بن الوليد.

وقد تبعت تلك البادية منطقة حمص منذ الفتح وكانت مسؤولية الإشراف عليها تتبع مباشرة لوالي حمص، ولم يُظهر الأعراب في البادية أي أثر سياسي خلال الحقبة الراشدية ويبدو أن ذلك عائد إلى أن المسلمين عقدوا معهم صلحاً وأبقوهم على ما هم عليه، كما أن عمر بن الخطاب قد بعث لأعراب البوادي من يعطيهم الأموال والأرزاق[3]، وكان عمر بن الخطاب يوصي بالأعراب قائلاً: "أوصيكم بالأعراب فإنهم إخوانكم، وعدو عدوكم"[4]، غير أنهم ثاروا بعد استشهاد عثمان

١- الذهبي، الكاشف، ج١، ص٢٨٥. وعن الحسن الميموني قال: " وذكر أبو عبد الله - يعني أحمد - كورة من كور الشام فقال: قَدَرية، ويتكلمون به في مساجدهم ويتعرضون للناس ولكن أهل دمشق، وأهل حمص خاصة أصحاب سُنّة، وهم إن رأوا الرجل يخالف السنة أخرجوه من بينهم". كانت حمص مسكن ثور بن يزيد فلما عرفوه بالقدر أخرجوه من بينهم، فسكن بيت المقدس. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص٣٢٥.

٢ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٦، ص١٢٠.

٣ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٤، ص٣٤٨.

٤ - ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٤، ص٢٣٣.

مستغلين انعدام الأمن في الدولة[1].

ففي سنة ٣٩هـ/٦٥٩م وعندما قسم معاوية جيوشه لملاحقة جيوش علي بن أبي طالب، كان أن وجه عبد الله بن مسعدة الفزاري في ألف وسبعمائة رجل إلى تيماء، وأمره أن يجمع صدقات من حاربه من أهل البوادي، وأن يقتل من امتنع من عطاء الصدقة، فوجه له علي بن أبي طالب المسيب بن نجية الفزاري الذي استطاع الانتصار على جيش ابن مسعدة، وكانت ردة فعل الأعراب سريعة عندما بادروا إلى نهب إبل الصدقة التي كانت مع ابن مسعدة[2].

أما في الحقبة السفيانية، فقد حظي أعراب البادية برعاية كبيرة خاصة بعد مصاهرة معاوية لكلب، من خلال زواجه بميسون بنت بحدل الكلبية، التي فضلت العيش في البادية على دمشق، وقالت من الشعر:

لَبيتٌ تخفقُ الأرواحُ فيه ... أحبُّ إليَّ من قصرٍ منيفِ[3]

وبذلك فقد أقام يزيد مع أمه ميسون، بين أهلها في البادية، وتعلم شعر بني كلب، حتى أن معاوية عندما توفي كان يزيد مقيماً في حوارين، ويزيد نفسه توفي بحوارين، ودفن فيها[4].

كانت إقامة يزيد بن معاوية لدى أخواله في البادية ذات أثر كبير على أعراب البادية، فيزيد ولي عهد أبيه معاوية، وبالتالي لا بد أنه كان ينفق على أخواله ومن حولهم من الأعراب الشيء الكثير، الأمر الذي يفسر سبب موقفهم إلى جانب السفيانيين من جهة، وعدم ثورتهم عليهم من جهة ثانية. بالإضافة إلى أن يزيد ابن ميسون وبالتالي فإن ولي العهد منهم، وهذا من شانه أن يدفعهم لمساندته، وعدم التمرد عليه، وساعد على ذلك استتباب الأمن.

---

١ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٩، ص٣٢٠.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٥، ص١٣٥.

٣ ـ ابن حمدون، التذكرة، م٧، ص٤١٦.

٤ ـ ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٦٥-١٦٦. ابن حمدون، التذكرة، م٧، ص٤١٦. كحالة، أعلام النساء، ج٥، ص١٣٦-١٣٧.

كما كان للأعراب دور سياسي عندما أراد مروان بن الحكم بعد وفاة معاوية ابن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مبايعة ابن الزبير بمكة، فلامه بعض الناس على ذلك ومنهم عبيد الله بن زياد، وأعانه عليه بعض أعراب الشام اليمانية، لأنهم كرهوا انتقال الخلافة من الشام إلى الحجاز، وكان رئيسهم حسان بن مالك بن بحدل الكلبي، يطلب الخلافة لخالد بن يزيد بن معاوية، لأنه من أخوال أبيه، فأَمَالَهُ أصحابه عن ذلك لصغر سنه، وحملوه على مبايعة مروان على شروط ـ سلف ذكرها ـ في الجابية سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م، وقيل أن بني أمية بايعوا مروان قبلها بتدمر، وسار مروان من الجابية، قاصداً الضحاك بن قيس الفهري، وبعد استتباب الأمور لمروان وإخضاع مصر أخذ مروان حسان بن مالك بالرغبة والرهبة، حتى بايع لعبد الملك بن مروان بعد أبيه، وبذلك أخفقت مقررات الجابية[1].

ولعل مرج راهط كانت قتالاً بين أعراب الشام اليمانية، وأعراب الشام القيسية، ومثلت واحداً من مظاهر الصراع القبلي في الحقبة الأموية.

وكان خالد بن يزيد مقلداً لوالده في التعصب لأخواله من كلب، ويعينهم على قيس في حرب قيس وكلب وفي هذا قال شاعر قيس:

يا خالدَ بن أبي سفيانَ قد قَرِحَت ... منا القلوبُ وضاق السهلُ والجبلُ

أأنتَ تأمُرُ كلباً أن تُقتلنا ... جَهلاً وتَمْنَعُهُم منا إذا قُتلوا

ها إنَّ ذا لا يُفِرُّ الطَير ساكنَهُ ... ولا تكفكف من نُكرانِهِ الإبلُ[2]

وبإخفاق مقررات الجابية التي جعلت خالد بن يزيد بن معاوية ولي عهد مروان بن الحكم، وإمارته على حمص كان لذلك الحدث أعظم الأثر في نفس أعراب حمص والبادية، بسبب ما نعموا به من رفاه اقتصادي في ظل وجود ولي عهد، أما

---

١ ـ الفاسي، العقد الثمين، ج٧، ص١٧٦.

٢ ـ البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٦٣. ووصف خالد بن يزيد الأعراب: "وأما الأعراب فإن أحدهم يخلو بامرأته فلا يكون الغالب عليه غير حُبّه لها، ولا يشغله شيء عنها، فضعفوا عن دفع الهوى فتمكن منهم". ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩، ص١٢٩.

وقد عزل عن ولاية العهد، فقد كان ذلك مما ألب نفوس أعراب البادية، وجعلهم يتخذون موقفاً مؤيداً لحق السفيانيين في استعادة خلافتهم.

لقد أوجد توقف الفتوح والغنائم في حقبة ما بعد الفتح لدى عرب الأطراف الكثير من المرارة ومن الأحقاد على عرب المركز، وما زالت هذه الأحقاد تختمر حتى انفجرت في النهاية[1]، فقد كانت حقبة السفيانيين قد امتصت غضب الأعراب بالمصاهرة حيناً وبإغداق الأموال حيناً أخر. وهذا ما يفسر ثورة الأعراب في ا لحقبة المروانية، وفي أوقات انعدام الأمن واشتعال الثورات.

وقد وصف الأعراب بأنهم كانوا يقطعون طريق الحجاج وأنهم أقل الناس علماً[2]، وأنهم أصحاب فتن متواترة منذ القدم[3]، كما وجد عدد من اللصوص بحمص كانوا يستغلون غارات الأعراب ليشاركوا فيها[4].

لقد استغلت الأعراب ما كانت تعانيه الدولة الإسلامية من نزاعات داخلية، ممثلة بحركة ابن الزبير، والأشدق، ومن ضغوط خارجية كنزول الروم في المصيصة[5]، غازية بلاد الشام، فأغارت خيل الأعراب على حمص، وبعلبك والبقاع، سنة ٧٠هـ/٦٨٩م[6]، ويبدو أن مثل هذه الغارات كانت تحمل طابعاً اقتصادياً بحتاً ممثلاً بجمع أكبر قدر ممكن من الطعام، والشراب واللباس،

---

١ ـ مصطفى (شاكر): موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دارا لعلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٣م، ج١، ص٧٧.

٢ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٠، ص٤٧٠.

٣ ـ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص١٤٧.

٤ ـ فقد وردت أسماء عوف وأذين ومسعود كلصوص في حمص. ابن الكلبي، نسب معد، ج١، ص١٩٥.

٥ ـ المصيصة: تقع وسط سهل خصيب، على الضفة اليمنى لنهر جيحان، تبعد عن أضنة ٢٧ كم، سميت قديماً ميميسترا، وكانت عقدة مواصلات هامة للطرق والقوافل التجارية القادمة من الشرق. أثناسيو، سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي، ج٢، ص٩٢.

٦ ـ المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص١٠٥. مما اضطر عبد الملك لمصالحة الروم مقابل أن يدفع لهم ألف دينار كل جمعة. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٥٠.

والأموال وغيرها من حاجات الأعراب، وبطرق غير مشروعة، باعتبار حمص تمثل سوق البادية.

فقد قيل إن الأحوال الاقتصادية قد ساءت في أعقاب قتل الأشدق، وما تطلبته ظروف إخماد الثورات المحدقة بالدولة الإسلامية، "وغلت الأسعار، واشتد الحال"[1]، ورافق ذلك الجدب والقحط، والجفاف لدى الأعراب[2].

وإذا كان الدافع الاقتصادي قد مثل السبب المباشر لثورة هؤلاء الأعراب، فإن هذا الدافع لم يكن موجوداً في الحقبة السفيانية لاهتمام السفيانيين بحمص، وربما أن هناك دوافع أخرى ممثلة بوفاء الأعرابي المتمثل بعدم رضا الأعراب عن مقررات الجابية الخاصة بخالد بن يزيد والي حمص. كما أن انعدام الأمن كان يُتيح لهم فرصة الإغارة وتحقيق مكاسبهم.

كما أن خلفاء بني أمية كانوا يهربون من الطاعون[3]، وينزلون في البرية، ويبنون فيها القصور، فابنتى هشام بن عبد الملك قصر الرصافة[4]، مما يؤكد أن الأعراب لم تكن تثور في ظل إقامة خليفة إلى جوارهم، لما ينعموا فيه من رخاء اقتصادي.

ويبدو أن خلفاء بني مروان قد أخضعوا الأعراب لسلطانهم ومنعوهم من التمرد ثانية، فقد قيل إن البادية قحطت في خلافة هشام بن عبد الملك، فقدمت عليه

---

١ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٠٠.

٢ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٦، ص٥٢.

٣ ـ كان طاعون عمواس أول طاعون يضرب الشام، في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والطاعون الجارف سنة ٦٩هـ/٦٨٨م، وطاعون الجواري والفتيات في خلافة عبد الملك بن مروان، وشهدت سنة مائة للهجرة طاعون عدي بن أرطأة، وولاية الوليد بن يزيد بن عبد الملك، عصف طاعون غراب بالبلاد، وذلك سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م، وكان أخر طاعون يقع في الخلافة الأموية طاعون سلم بن قتيبة، سنة ١٣١هـ/٧٤٨م. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٣١.

٤ ـ فقد أقام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان في حوارين، ثم ابنه خالد في حمص، ثم يزيد بن عبد الملك في البخراء، من أعمال حمص، وكذلك ابنه الوليد، وأيضاً عمر بن عبد العزيز الذي سكن خناصرة من أعمال حمص. ابن حزم الاندلسي، رسالة نقط، ج٢، ص٧٢. ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص١١٣. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٨٤.

الأعراب، فهابوا أن يكلموه، فتقدم درواس بن حبيب وكان صغير السن، فكلم الخليفة قائلاً: "يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون ثلاث؛ سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقّت العظم". فعجب منه هشام وأكرمه بمئة ألف دينار، وللبوادي بمئة ألف دينار[1].

وهذه الرواية تؤكد أن الأعراب لم تعد لهم قدرة على التمرد، على الخلافة من جهة، وتبين سوء أحوالهم الاقتصادية الأمر الذي دفعهم للشكاية للخليفة، وقد استطاع الخليفة أن يمتص شكايتهم بإغداق الأموال التي تسد حاجاتهم المعيشية.

وقد شكا الأعراب في خلافة بني مروان ، بعض الممارسات التي يعانون منها، فقد أقبل قوم من الأعراب إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يشكون قوماً من المروانيين، في أرض كانت الأعراب قد أحيتها، فأخذها الوليد بن عبد الملك فأعطاها بعض أهله، فردها عمر بن عبد العزيز إلى الأعراب[2]. رغم تحفظ عمر بن عبد العزيز على الأعراب، فقد كتب إلى واليه على حمص يزيد بن حصين: "أن مر للجند بالفريضة، وعليك بأهل الحاضرة، وإياك والأعراب فإنهم لا يحضرون محاضر المسلمين، ولا يشهدون مشاهدهم"[3]. وهذه إشارة إلى أن الأعراب لا يشاركون في فتوحات المسلمين أو صوائفهم وشواتيهم.

كما وترد إشارات إلى خروج الناس إلى البادية عند حدوث الطاعون، كما حدث في دمشق سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م[4]، وذلك لاتساعها ونقاء هوائها ولقلة اختلاط الناس فيها، مما يحول دون عدوى المرض.

---

١ ـ الأبشيهي، المستطرف، ج١، ص١٦٧. القرماني، أثار البلاد وأخبار العباد، ص١٣١. وقد حدث القحط سنة ٦٨هـ /٦٨٧م ، بحيث لم تقدر الجيوش الإسلامية من شدته على الغزو. الطبري، تاريخ، ج٦، ص١٢٧. كما أن بعض أعراب خراسان كانوا يقطعون الطريق على الحجاج في الحقبة المروانية مستغلين بعد المسافة، وما يتوافق مع طبيعة التضاريس الصعبة. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٣٠٥.

٢ ـ ابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز، ص١٢٥.

٣ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٥، ص١٥٩.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٣٧. القرماني، أخبار الدول، ص١٣٢.

بالإضافة إلى ذلك كانت البادية ملجأ لثوار حمص خاصة في نهاية الدولة الأموية[1]، وكان الوليد بن يزيد بن عبد الملك قد خرج وقاتل الأعراب في البخراء، لاحتوائهم أهل حمص، وكما كانت البادية محطة للصيد[2]، وكان للأعراب دور في زوال الدولة الأموية، عندما ثارت العصبية في البدو والحضر، وتعصب مروان بن محمد لقومه من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسية[3].

وربما أن العامل الجسدي كان له أثر في قوة وشجاعة الأعراب على الغارات، فقد امتاز الأعراب بالصحة الجسدية التي أضفت عليهم طابع الخشونة الملائم للعيش في الصحراء، والتصدي لما يعترضهم من مخاطر، وبالتالي فقد اعتادوا "حياة الشقاء"[4].

سادساً: موقف المروانيين من والي حمص السفياني خالد بن يزيد بن معاوية

ففي الوقت الذي بايع فيه مروان لوليده عبد الملك وعبد العزيز من بعد عبد الملك، روى الواقدي : "فأيس خالد، وهو مع عبد الملك على الطمع والخوف"[5]. فما هي ردة فعل خالد بن يزيد بن معاوية في خلافة بني مروان كونه المرشح السفياني

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣١٥.

٢ ـ القرماني، أخبار الدول، ص١٣٢.

٣ ـ المسعودي، مروج، ج٣، ص٢٤٥.

٤ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص٣٥٤. ويمتاز البدو بملامح خاصة يختلفون بها تماماً عن الحضر، ويعود السبب في ذلك إلى البيئة الصحراوية التي طبعت البدوي بطابع خاص به، فحرارة الشمس المحرقة لونته بلون أسمر داكن، وعيون سوداء ضيقة، وكذلك فالغذاء القليل المقتصر على اللبن والتمر والدقيق جعل أجسامهم هزيلة إلا أنها قوية تجابه خشونة العيش القاسية في البادية. خربوطلي (يحيى هشام): البدو في محافظتي حمص وحماه، دراسة إقليمية، رسالة جامعية لنيل الإجازة في الآداب، جامعة دمشق، ١٩٦٥، ١٩٦٦م، ص٣٤.

٥ ـ ابن سعد، الطبقات، مج٥، ص٢٢٧.

المطالب بالخلافة آنذاك، والوالي على حمص؟.

ووصف المصعب الزبيري خالداً بقوله: "كان يوصف بالعلم ويقول الشعر، زعموا أنه هو الذي وضع ذكر السفياني وكثره، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك، وتزوج أمه أم هاشم"[1]. وهذا يدل على رغبة خالد في استعادة ملكه، وإن لم يستطع فليعده أحد أبنائه.

ويبدو أن خالداً بعدما أخفق في استرداد الخلافة لزم بيته، فقيل له كيف تركت مجالسة الناس وقد عرفت فضلها ولزمت بيتك؟ فقال: "وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت بنكبة"[2].

ويستفاد من بعض الروايات أن العلاقة بين خالد وعبد الملك في حقبة الخلافة المروانية كان ينتابها أحياناً التهديد والحرمان، فقيل: "إن عبد الملك بن مروان قطع عن آل أبي سفيان أشياء[3] كان يجريها عليهم، لتباعد كان بينه وبين خالد بن يزيد، فدخل عليه عمرو بن عتبة بن أبي سفيان فقال: يا أمير المؤمنين أدنى حقك متعب، وتقصيته فادح، ولنا مع حقك علينا حق عليك، لقرابتنا منك، وإكرام سلفنا لك، فانظر إلينا بالعين التي نظروا بها إليك، وضعنا بحيث وضعتنا الرحم منك، وزدنا بقدر ما زادك الله. فقال عبد الملك: أفعل، وإنما يستحق عطيتي من استعطاها، فأما من ظن أنه يستغني بنفسه فسنكله إلى ذلك. يعرض بخالد، ثم أقطع عمراً أموالاً فبلغ ذلك خالد بن يزيد، فقال: أبالحرمان يهددني؟ يد الله فوق يده مانعة، وعطاؤه مبذول فأما عمرو فقد أعطى من نفسه أكثر مما أخذ"[4].

---

١ ـ نسب قريش، ص١٢٩. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٦، ص٣٠٣.

٢ ـ ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٩٣.

٣ ـ أرزاق آل أبي سفيان وجوائزهم. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص٢١.

٤ ـ الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٣٨١. ابن حمدون، التذكرة، مج٢، ص٥٦. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٩٠. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٦، ص٢٧٢ـ ٢٧٣. ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج٣، ص١٤٦ـ١٤٧. الذهبي، سير أعلام، ج٤، ص٣٨٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٢، ص٢١ـ٢٢.

وتدل هذه الرواية على أن هناك توتراً بين خالد وعبد الملك وأن خالداً كان يطالب بحقه في الخلافة، وأن ولايته على حمص لم تكن ترضيه، خاصة أنه يعلم أنها ولاية مؤقتة، ولذلك فإن عبد الملك كان ينتقصه باستمرار أمام أقربائه ليكشف عما يجول في ذهن خالد.

ويُذكر أن عبد الملك أجرى خيلاً، فسبقه عباد بن زياد بن أبيه، فأنشد عبد الملك:

سَبق عبّاد وصلت لحيته ... وكان خرَّاراً تجود قربُته

فشكا عباد قول عبد الملك إلى خالد بن يزيد بن معاوية، فأجابه خالد: "أما والله لأنصفنك منه بحيث يكره، فزوجه أخته"[1]، فكتب الحجاج إلى عبد الملك: يا أمير المؤمنين: إن مناكح آل أبي سفيان قد ضاعت، فأخبر عبد الملك خالداً بما كتب به الحجاج فقال خالد: "يا أمير المؤمنين ما اعلم امرأة منا ضاعت ونزلت إلا عاتكة بنت يزيد بن معاوية، فإنها عندك، ولم يعن الحجاج غيرك"، قال عبد الملك: "بل عنى الدعي ابن الدعي عباداً، قال خالد: يا أمير المؤمنين، ما أنصفتني أدعي رجلاً ثم لا أزوجه، إنما كنت ملوماً لو زوجت دعيّك، فأما دعيي فلم لا أزوجه"[2].

---

١ ـ وهي أم عبد الرحمن بنت يزيد بن معاوية. المصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٣٠.

٢ ـ الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٤٩٦. المصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٣٠، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مج٨، ج١٦، ص ١٩٦. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٥٦. ويبدو أن العلاقة بين خالد والحجاج لم تكن حسنة فيروي التوحيدي: " قال علي بن عبد الله: شهدت الحجاج خارجاً من عند عبد الملك بن مروان، فقال له خالد بن يزيد بن معاوية: إلى متى تقتل أهل العراق يا أبا محمد، فقال: إلى أن يكفوا عن قولهم في أبيك: إنه كان يشرب الخمر". الإمتاع والمؤانسة، ج٣، ص١٧٨. وقيل أن خالد كان يستهزئ بالحجاج ويقول هذا عمرو بن العاص فأجابه الحجاج: " ولكني ابن الغطاريف من ثقيف، ولقد ضربت بسيفي هذا أكثر من مائة ألف كلهم يشهد أنك وأباك وجدك من أهل النار، ثم لم أجد لذلك عندك أجراً، ولا شكراً". ابن الأثير، الكامل، مج ٤، ص٥٨٧. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص١١٣. الأصفهاني، الأغاني، مج١٧، ص٢٦١ـ٢٦٢. وقيل أن الحجاج أوقع بخالد بن يزيد، وكان يعيبه وينتقصه وعنده عمرو بن عتبه بن أبي سفيان، فقال عمرو: إن خالداً أدرك من قبله وأتعب من بعده بقديم غلب عليه وحديث لم يسبق إليه، فقال الحجاج معتذراً: يا ابن

وفي هذه الرواية دلالة على أن الفرع المرواني بدأ يتدخل في جميع شؤون الفرع السفياني، أو على الأقل بدأ يرقب تحركاتهم، ومصاهراتهم، ويعود السبب في ذلك إلى أن الفرع السفياني بدأ يتقرب بالمصاهرة إلى من كان له مركز قوي حتى يكون سنداً له فيما إذا طلب الخلافة، فيروي عوانة: "أن خالد بن يزيد حج في السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير ٧٣هـ / ٦٩٢م، فخطب رملة بنت الزبير فبلغ ذلك الحجاج فأرسل إليه حاجبه، وقال: قل له ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير حتى تشاورني، ولا كنت أراك تخطب إليهم وليسو لك بأكفاء، وقد قاتلوا أباك على الخلافة، ورموه بكل قبيح، فلما بلغه الرسالة نظر إليه خالد طويلاً ثم قال: لو كانت الرسل تعاقب لقطعتك إرباً ثم ألقيتك على باب صاحبك، قال له: ما كنت أظن أن الأمر بلغ لك إلى أن تؤهل نفسك لأن أشاورك في مناكحة قريش، قلت ليس القوم لك بأكفاء، فقاتلك الله يا ابن الحجاج"[1].

وكان خالد يفاخر قائلاً: "أنا والله ابن العير والنفير، سيد العير جدي أبو سفيان، وسيد النفير جدي عتبة بن ربيعة"[2]. ولا يزال خالد طامعاً بالخلافة: "أما إني أرى ثأري في مروان صباح مساء، ولو أشاء أن أزيله لأزلته"، فقال عبد الملك: إذا

عتبة، إنا لنسترضيكم بأن نغضب عليكم، ونستعطفكم بأن ننال منكم، وقد غلبتم على الحلم، فوثقنا لكم به، وعلمنا أنكم تحبون أن تحلموا بتعرضنا للذي تحبون". ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج٣، ص١٢٠-١٢١. قارن ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٥٩- ٢٦٠.

١ - الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٤٩٦.

٢ - البلاذري، انساب، ق٤، ج١، ص٣٦٢. انظر: الأصفهاني، الأغاني، مج١٧، ص٢٦٤-٢٦٥. المسعودي، مروج، ج٣، ص١٩٠. الزمخشري، ربيع الأبرار، ج١، ص٣٧٦- ٣٧٧. اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص٣٣٤-٣٣٥. وروى المدائني: "دخل الوليد حائطاً لعبد الله بن يزيد الأسوار فشكا ذلك إلى أخيه، وجرى هذا القول بسببه. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ٣٦٣. وانظر: ابن العماد، شذرات الذهب، مج١، ص٣٥٠. وزعم البعض في معرض استياء العلاقة بين خالد بن يزيد وعبد الملك: "أن خالد دخل على عبد الملك يوماً فقال عبد الملك يا خالد كأنك قد عضضت على صوفة، فقال خالد: إن النساء يلثمن فاي، ولا يشممن قفاي، يعرض له بالبخر، وكان عبد الملك يكنى أبا الذبان من شدة بخرة. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٩١.

شئت أن تطفئ نورك فافعل، فأجابه خالد شعراً، فاستحيا عبد الملك وقال: "يا وليد أكرم أخاك وابن عمك، فقد رأيت أباه يكرم أباك، وجده يكرم جدك"[1].

وذكر أيضاً أنه: "وقع ميراث بين ناس من آل أبي سفيان وبني مروان، فتشاحنوا فيه، وتضايقوا فلما قاموا، أقبل عمرو بن عتبة على ولده، فقال: "أن لقريش منزلة تزل عليها أقدام الرجال، وأفعالاً تخشع لها رقاب الأموال، وغايات تقصر عنها الجياد المنسوبة، فلو كانت الدنيا لهم، لضاقت عن سعة أخلاقهم، ولو احتفلت الدنيا ما تزينت إلا بهم ثم إن أناساً منهم تخلقوا بأخلاق العوام، فصار لهم رفق باللؤم، وخرق بالحرص، فلو أمكنهم قاسموا الطير أرزاقها، وإن خافوا مكروهاً تعجلوا له الغم (الفقر)، وإن عجلت لهم نعمة أخروا عليها الشكر"[2].

ويستفاد من مثل هذه الروايات وجود توتر في العلاقة بين الفرعين السفياني والمرواني، غير أنها في الوقت نفسه لا تدفع عمرو بن عتبة لأن يصف قريش بمثل هذا الوصف، خاصة وأن الفرعين ينسبون إلى قريش، وإن صح أنه قال ذلك فهذا يكشف عن خوفه من الفرع المرواني، الأمر الذي دفعه لأن يطلق كلاماً عاماً لقريش، وليس لبني مروان، وإن كان مقصده الخفي والمقصود ببني مروان، ويبدو أن كثيراً من الروايات بدأت تنسج الخيوط إزاء توتر العلاقة بين الفرعين إزاء تحييد الفرع السفياني عن الخلافة، فظهرت الفرصة أمام بعض الرواة للتعبير عن ميولهم، ومعتقداتهم، لتشويه العلاقة بين الفرعين، متخذين من ألسنة أبناء الفرعين دليلاً على صدق أقوالهم.

فقد كان خالد بن يزيد بن معاوية يهزأ بمعاوية بن مروان بن الحكم، (أخ عبد الملك)، فقال له يوماً: "إن أمير المؤمنين قد ولى إخوته لأبيه: ولى عبد العزيز مصر وبشراً العراق، ومحمداً الجزيرة، فلو سألته أن يوليك! قال: ما أسأله؟ قال: سله

---

١ ـ ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٩١.

٢ ـ الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٣٨٠-٣٨١.

بيت لهيا[1]، فعندما فعل، عرف عبد الملك أن هذا من صنع خالد فطلب من معاوية بن مروان أن لا يجالس يزيد[2].

وكان عبد الملك ينهى ابنه بكار من الجلوس مع خالد بن يزيد بن معاوية؛ لما يعلمه من استخفاف خالد ببكار"[3]. وربما أنه كان يستدرجه في الحصول على الأخبار.

كما أن عبد الملك كان يرى في خالد رأياً فهو يصفه قائلاً: "ومن الذي يغلبنك بالحجة، فو الله ما لسانك إلا شفرة تطبق على مفاصل الكلم"[4].

وفي الوقت الذي أراد فيه عبد الملك أن يبايع لولديه من بعده، عمل على استرضاء الفرع السفياني، فقد تولى خالد أمرة حمص[5]، وربما أن ذلك كان لأن عبد الملك في بداية خلافته أراد أن يكسب خالداً إلى جانبه على أثر الثورات والضغوط التي تواجه الدولة، ولتحقيق ذلك تظاهر عبد الملك بقبول شروط الجابية الفرعية، وهو أن يكون لخالد إمرة حمص.

وكوسيلة للحد من شأن خالد بن يزيد، اشترى عبد الملك من خالد بن يزيد بن معاوية قصر الخضراء (دار الإمارة) بدمشق بأربعين ألف دينار، وكذلك اشترى منه أربع ضياع بأربع أجناد في الشام، فاشترى من خالد ضيعة بفلسطين عمواس، ومن الأردن قصر خالد، ومن دمشق أندر[6]، ومن حمص دير زكي[7]، وهذا دليل على

---

١ ـ بيت لهيا: قرية مشهورة بغوطة دمشق. الحموي، معجم البلدان، مج١، ص٥٢٢.

٢ ـ ابن حبيب، المنمق، ص٣٩١. البلاذري، انساب، ج٥، ص١٦٥ـ١٦٦. الأصفهاني، الأغاني، مج١٧، ص٢٦٥ـ٢٦٦. ابن حمدون، التذكرة، مج٣، ص٢٧٢.

٣ ـ ابن حبيب، المنمق، ص٣٩٢ـ٣٩٣.

٤ ـ ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٨٨.

٥ ـ البلاذري، انساب، ق٤، ج١، ص٣٦٤.

٦ ـ أندر: قرية بالشام من قرى دمشق، البكري، معجم ما استعجم، ج١، ص١٩٨.

٧ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص٣٥٩.

دير زكي: دير بالرها بإزائه تلٌ يقال له زفر بن الحارث الكلابي، وفيه ضيعة يقال لها الصالحية اختطها عبد الملك بن صالح الهاشمي. الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص٥١٢.

أن خالد بن يزيد كان من كبار الملاكين[1]، ومن الطبيعي أن من يملك المال الكثير والأملاك يستطيع أن يهدد الدولة إذا ما سنحت له الفرصة، خاصة أن هناك فئة كبيرة معارضة للدولة سواء كانت من المسلمين أو غير المسلمين، بالإضافة إلى أن حمص قاعدة سفيانية، ثم إن شراء عبد الملك قصر الخضراء من خالد له دلالة سياسية وهي إنهاء فكرة وراثة الخلافة التي عاشها الفرع السفياني منذ زمن جدهم معاوية بن أبي سفيان، الذي ابتنى ذلك القصر، وإظهار قوة الفرع المرواني السياسية والمادية، أضف إلى ذلك أن عبد الملك أراد من هذا الإجراء تقليص نفوذ خالد في الأجناد الأربعة، وأن لا يجعل له فيها موطئ قدم.

وكذلك اشترى عبد الملك أملاكاً من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية في دمشق بألف وخمس مئة دينار[2].

وقد أشارت بعض الروايات أن عمر بن عبد العزيز كان منصفاً لحق الفرع السفياني. فيروى أن أبا الأخنس كان جالساً مع خالد بن يزيد بن معاوية في صحن بيت المقدس، إذ جاء فتى شاباً فأخذ بيده فأقبل عليه، وقال الفتى لخالد: هل علينا من عين؟ قال فقلت أنا: نعم عليكما من الله عين. قال: فترقرقت عينا الفتى ونزع يده من يد خالد ثم ولى. قال: قلت لخالد: من هذا؟ قال: هذا عمر بن عبد العزيز ابن أخي أمير المؤمنين[3].

ويبدو أن خالد بن يزيد كان مطلعاً على ما يدور من حول البيت المرواني من تطلعات عباسية نحو الخلافة، فروى أن خالد بن يزيد بن معاوية كان في مجلس الخليفة الوليد بن عبد الملك، وعنده هشام بن عبد الملك، إذ دخل عليهم رجل، فتكلم بكلام ثم خرج. فعندما سئل خالد عنه، قال: "ولا هو بالمخوف، ولا أحد من بني أبيه على دولتكم، ولكني أخاف أصلةً (أفعى) كامنة بناحية البلقاء

---

١ ـ فالح (حسين): الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، تقدم عبد العزيز الدوري، نشر بدعم من الجامعة الأردنية، ١٣٩٨هـ م ١٩٧٨م، ص٦١.

٢ ـ ويؤكد ذلك ما قيل أن أبا أمامة الباهلي زار خالداً عندما كان والياً على حمص، فلما جلس بجانبه أعطاه خالد وسادة من حرير ليتكئ عليها فرفض لزهده. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٤، ص٧١.

٣ ـ الفسوي، المعرفة والتاريخ، مج١، ص٥٧١. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٧٠.

تسعى لها أهل الشرق، يدّوخون لها البلاد، قال ومن هذه الأصلة؟ قال: ولد علي بن عبد الله بن عباس. قال: غفر الله لك، ما بلغنا أن أولئك تحركوا في شيء من هذا الأمر، ولا دبوا فيه. قال: لست أخافه عليك، ولا على هذا القرن الذي أنت فيه، وإنما أخافه إذا قتل سميك، ووقع الخلاف بين أهل بيتك، وابتز الأمر منهم سمي جدك، فظهرت الرايات السود بالمشرق، فبؤساً لبني أمية، عند ذلك يزول الأمر عنهم، وتسفك دماؤهم، ويرثي لهم من كان يتمنى هلاكهم[1].

و تدل هذه الرواية على معرفة الفرع السفياني برغبة العباسيين في استعادة حقهم في الخلافة، فهذا الأمر معروف لدى بني أمية بل ولدى الناس كافة، منذ أيام علي بن أبي طالب، فهذا الأمر لم يغب عن أحد، ويؤخذ على هذه الرواية إضافة إلى ميولها العباسية الواضحة؛ أنها تخبر عن أحداث وقعت بالفعل، فيما بعد، وحددت الأشخاص بالتحديد مما يدل على أن هذه الرواية وضعت بعد انتهاء الأحداث، وبالإضافة إلى ذلك فإنها صورت معرفة خالد بن يزيد المطالب بحقه بالخلافة بأن هناك من هو أولى منه بالخلافة ممثلاً بالفرع العباسي لذلك الأولى عدم الأخذ بها.

ويبدو أن الفرع السفياني قد توقف نشاطه السياسي في حمص، منذ وفاة خالد بن يزيد بن معاوية، في آخر خلافة عبد الملك، وبداية خلافة الوليد في أرجح الأقوال[2]، فمنذ خلافة الوليد وحتى خلافة هشام بن عبد الملك، لم تقدم المصادر

---

١ ـ مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص١٧٨ـ١٧٩.

٢ ـ اختلف في تحديد السنة التي توفي فيها خالد بن يزيد بن معاوية، فقيل مات أيام عبد الملك بن مروان. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٣٦٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٩، ص٢٩٥. وقيل في سنة ٨٢هـ/ /. ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٧٠. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٧٤. وقيل سنة ٨٤هـ/ /. الذهبي، تاريخ، ج٦، ص٥٧. وقيل ٨٥هـ. ابن العماد، شذرات الذهب، مج١، ص٣٤٩. وقيل سنة ٨٩هـ/ /. اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص١٤٤. وقيل سنة ٩٠هـ/ م. ابن تغري بردي، النجوم، ج١، ص٢٨٤. الذهبي، تاريخ، ج٦، ص٥٧. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٩٧. وقال ابن العماد الحنبلي مات على الأصح سنة ٩٠هـ/ م. ابن العماد، شذرات الذهب، ج١، ص٣٥٩. وقيل مات في خلافة الوليد، وصلى عليه الوليد وهو خليفة. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٩٧. ومن المفيد القول أن مسألة الاختلاف في الأرقام تحتاج إلى دراسة مستقلة من الباحثين.

المتوفرة أية إشارة لاستعانة الفرع المرواني بالفرع السفياني، سواء في الإدارة أو الفتوحات أو الموسم، أو أي منصب قيادي في الدولة الإسلامية، مما يشعر أن الفرع المرواني كان يدرك خطورة الموقف إذا ما تسلم السفيانيون منصباً حساساً، لذلك فإن الفرع المرواني قد اتخذ وسيلة ضاغطة على أبناء الفرع السفياني، وهي التحييد والتهميش عن الساحة السياسية قدر الإمكان.

ويبدو أن المصاهرات التي كانت بين الفرعين السفياني والمرواني، كانت تمثل مظهراً من مظاهر التقارب، والمصالحة بينهم، ثم أن المصاهرات كانت تتفق مع طموحات الفرعين، فالفرع المرواني كان يهدف من وراء هذه المصاهرات أن يستخدمها كوسيلة لاسترضاء الفرع السفياني بعد أن زالت خلافتهم من جهة، ولضمان عدم ثورتهم من جهة أخرى، وكذلك فإن هدف الفرع السفياني من ذلك اتخاذ وسيلة للتقرب من الخلفاء المروانيين، وتدبير إعادة أمجادهم في الخلافة، ويرى فلهاوزن أن زواج خالد من عائشة بنت عبد الملك[1] هو وسيلة من عبد الملك أراد من خلالها أن يخفف على خالد ما كان يحس به من مضاضة بسبب إقصائه بغير حق عن وراثة الخلافة، فقربه منه وزوجه ابنته، وكذلك تزوج عبد الملك عاتكة للسبب نفسه[2].

وهناك زوجات لرجال من الفرع السفياني، كان أبناء الفرع المرواني قد تزوجوا منهن، كآمنة بنت سعيد بن العاص بن سعيد التي كانت زوجة لخالد بن يزيد بن معاوية، ثم تزوجها الوليد بن عبد الملك[3].

سابعاً: موقف الحمصيين من ولاية العهد المروانية حتى سقوط الدولة الأموية

كانت مسألة ولاية العهد مثار خلاف في العصر الأموي ولم يعد يقتصر على

---

١ ـ ابن حبيب، المحبر، ص٥٩.

٢ ـ فلهاوزن، الدولة العربية، ص٢١٥. انظر مصارهات السفيانيين للمروانيين في الملحق رقم(٣)

٣ ـ وهي أخت عمرو بن سعيد الأشدق. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٩، ص٣٨-٣٩.

بني أمية فحسب، بل أصبح الصراع على منصب الخلافة منحصراً داخل الأسرة المروانية، الأمر الذي مهد لكل مدع أنه صاحب حق أن يثور ويطالب بالخلافة، وانتهى الأمر بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وكلتا الدولتين تمثل دولة إسلامية، رايتها لا إله إلا الله، وهدفها نشر الدين الإسلامي، غير أن ما وجه لهذه الدولة أو تلك من انتقاد وتحجيم، يعود لأولئك المنحرفين عن قواعد وعدالة الإسلام وسماحته التي يتسم بها جميع الخلفاء، وعلى جميع الحقب، فقد ظهرت الفرق المعادية للإسلام والتي أخذت تشوه الإسلام، وذلك بالحط من الخلفاء وشأنهم، فهم من كبار التابعين وأبناء التابعين القارئين لكتاب الله، المقيمين لشعائره، وبالتالي فإن ما كان يظهر من صراع أموي، لم يكن ليضعف من إسلام الأمويين، فكلهم رجال وإن اختلفت مشاربهم فهم ينتمون إلى العقيدة المحمدية.

وإن نظرة في تطور ولاية العهد المروانية، فإن مروان بن الحكم - وكما مر سالفاً - عقد ولاية العهد إلى عبد الملك ومن بعده لعبد العزيز، غير أن وفاة عبد العزيز حالت دون وصوله إلى الخلافة حيث بايع عبد الملك لابنيه الوليد ثم سليمان من بعده[1].

ولكن من أين جاءت فكرة مبايعة أكثر من شخص بولاية العهد؟. فإن ما جاء في مقررات الجابية من مبايعة خالد بن يزيد وعمرو بن سعيد بعد مروان كان بداية

---

١ - كان عبد الملك قد هم بخلع عبد العزيز غير أن هناك من أشار عليه بالتروي، فتوفي عبد العزيز ووجد عبد الملك أن الفرصة مناسبة لتحقيق هدفه. ابن سعد، الطبقات، مج٥، ص٢٣٣. خليفة، تاريخ، ص٢٨٩. الفسوي، المعرفة والتاريخ، مج١، ص٤٧٣. البلاذري، أنساب، ج٥، ص١٨٣. الطبري، تاريخ، ج٦، ص٤١٦. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٥٨. وانظر:

S.M Imamuddin, Arab Muslim Administration (٦٢٢-١٢٨١),Kitab Bhavan, New Delhi, ١٩٨٤, p٤٥.

ويقول البعض: "ولئن كانت ولاية العهد للأخوة والأبناء من عوامل الشر وأسباب البلاء، فإن جعل ولاية العهد لابنين، كان أكثر شراً وأشد بلاء، إذ كان من عوامل الهدم تسلط الأمويين على أنفسهم. النجار (محمد الطيب): الدولة الأموية في المشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء، دار الاعتصام، ط٣، ١٩٧٧م، ص١٣٩.

المبايعة لاثنين، والذي أصبح بعد ذلك دستوراً اتخذه الفرع المرواني، غير أن هذا الدستور سرعان ما أدى إلى ازدياد التنافس والصراع على منصب الخلافة[1].

وإن عبد الملك كان قد اتخذ من الإجراءات ما يضمن قبول الفرع السفياني بولاية العهد المروانية، فيروى أن عبد الملك عندما كان يحتضر دخل عليه خالد وعبد الرحمن أبناء يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فقال لهما: "أتحبان أن أسألكما بيعة الوليد وسليمان؟ فقالا: "يا أمير المؤمنين، معاذ الله من ذلك، قال: فأومأ بيده إلى مصلى كان مضطجعاً عليه، فأخرج من تحته سيفاً مصلتاً فقال لهما: والله لو قلتما غير ذلك لضربت أعناقكما بهذا السيف"[2]. ويبدو أن موقف خالد هذا متأثر بما حل بالأشدق.

وعلى أيه حال فقد بويع الوليد بن عبد الملك في سنة ٨٦ هـ/٧٠٥م، بالخلافة

---

١ ـ وقيل إن معاوية أوجد هذا النظام عندما بايع لابنه يزيد ولمعاوية بن يزيد بعده. البياسي، الإعلام، ج٢، ص١٤١. ولكن معاوية بايع ابنه يزيد سنة ٥٦هـ/ ٦٧٥م في الوقت الذي كان فيه معاوية الثاني لا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره، وفي خلافة مروان بايع مروان لابنيه عبد الملك وثم عبد العزيز من بعده فإن وفاة عبد العزيز حالت دون وصوله إلى الخلافة، وإذا كان مروان قد بايع الاثنين من بعده فعبد الملك على ما يزعم البعض بايع لأربعة أبناء من بعده: الوليد ثم سليمان، ثم يزيد ثم هشام. الفسوي، المعرفة والتاريخ، مج٣، ص٣٢٦. وقد اجتهدت الدولة الأموية في قضية الخلافة فجعلتها وراثية، وأوصت بولاية العهد لاثنين عند كل انتخاب، حرصاً من بني أمية على تجنب الوقوع في معركة مرج راهط أخرى وخروج الحكم ليس من بني أمية، بل من الفرع المرواني إلى فرع أخر كما خرج من الفرع السفياني، إلى المرواني. الشامي (فاطمة قدورة): تطورات تاريخ العرب السياسي والحضاري، من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٧٧م، ص٢١٤.

٢ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٢٤. الدينوري، الأخبار، ص٢٩٦. الأبشيهي، المستظرف، ج٣، ص٣٢٣. ومن هنا قيل إن عبد الملك أخذ خلافته بالسيف والقوة من غير مشورة، أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، مج٢، ص٢٣٥. وقال البعض، (خالد وعبد الله) وليس خالد وعبد الرحمن. الدينوري، الأخبار، ص٣٢٥. وقيل خالد ومحمد: ابن حمدون، التذكرة، مج٩، ص٢٩٣. وقيل أنه أرسل إلى عبد الله بن يزيد بن معاوية وخالد بن أسيد. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٣، ص١٧٣.

وبعد وفاته بويع في سنة ٩٦هـ/٧١٤م، سليمان بن عبد الملك بالخلافة، على الرغم من أن الوليد أراد أن يبايع لابنه عبد العزيز من بعده ووجد من يسانده من كبار مستشاريه، إلا أن هذه المحاولة لم تنجح، وفي سنة ٩٨هـ/ ٧١٦م، بايع سليمان بن عبد الملك لابنه أيوب بن سليمان، فروى عمرو بن شبة عن علي بن محمد قال: "كان عبد الملك أخذ على الوليد وسليمان أن يبايعا لابن عاتكة (يزيد) ولمروان بن عبد الملك في خلافة سليمان فبايع سليمان حتى مات مروان لأيوب، وأمسك عن يزيد، فهلك أيوب وهو ولي عهده، وبعد أن توفي سليمان ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة"[١]. وعلى الرغم مما يظهر من أن هشام بن عبد الملك كان معارضاً في أول الأمر حيث قال: "أتخرج من بني عبد الملك"[٢]. إلا أنه عاد وبايع لعمر بن عبد العزيز سنة ٩٩هـ /٧١٧م، وبوفاة عمر بن عبد العزيز بويع يزيد بن عبد الملك بالخلافة سنة ١٠١هـ /٧١٩م[٣]، ثم بوفاته بويع هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ / ٧٢٣م، ثم ولي الخلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك. ثم ولي الخلافة يزيد بن الوليد ابن عبد الملك، ثم بويع أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، ثم خلع وبويع مروان بن محمد.

ويبدو أن مسالة ولاية العهد قد فتحت المجال أمام الفرع السفياني للظهور، والتدخل من جديد خاصة في حقبة الخلفاء المتأخرين من بني مروان، ولأنهم لاقوا التأييد والمؤازرة من أقاربهم الحمصيين، في مقر إقامتهم. ويبدو أن متنفذي

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٣٢. أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، مج٣، ج٥، ص٢٨٠. ابن حزم، رسالة نقط العروس، ج٢، ص٥١.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٦، ص٥٥١. ابن سعد، الطبقات، مج٥، ص٣٣٧.

٣ ـ وروي أن مسلمة بن عبد الملك قال ليزيد بن عبد الملك عندما أراد البيعة لمن بعده: يا أمير المؤمنين أيهما أحب إليك: ولد عبد الملك أو ولد الوليد، فقال: بل ولد عبد الملك. قال أفأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك؟ قال: إذا لم تكن في ولدي فأخي أحق بها. وفي هذا دلالة على الصراع الذي دخل الأسرة المروانية، وعلى ما في نفس مسلمة من حب الخلافة. وأنه لم يرشح للخلافة كونه ابن أمة. الأصفهاني، الأغاني، مج٧، ص٤. إذ لا يصلح للإمامة إلا من تجتمع فيه شروط منها أن يكون قرشياً وأن يكون مجتهداً من أهل الفتوى، وذا نجدة وكفاية، وأن يكون حراً وورعاً في دينه. الجويني، لمع الأدلة، ص١١٦.

السفيانيين المطالبين بالخلافة كانوا يقيمون في حمص.

أضف إلى ذلك أن هشام بن عبد الملك[1] أراد البيعة لابنه مسلمة غير أن وفاته حالت دون ذلك، الأمر الذي أغضب الوليد بن يزيد، ويظهر أن الفرع السفياني كان يقف إلى جانب الوليد بن يزيد بن عبد الملك وذلك لصلة القرابة والنسب بينهم، فقد كانت جدة الوليد عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[2]. فعندما توفي هشام جاء إلى الوليد مولى لأبي محمد السفياني أحد موالي حمص، ليخبره بالأمر حيث كان الوليد مقيماً في برية حمص، ووصله الرسول وهو واقف على مقبرة كثيب في حمص[3]، فتوجه بعد ذلك إلى دمشق وتمت مبايعته بالخلافة[4].

---

١ ـ وعرض هشام بن عبد الملك الجند بحمص، فمر به رجل من أهل حمص وهو على فرس نفور، فقال له هشام: ما حملك على أن تربط فرساً نفوراً؟. فقال الحمصي: لا والرحمن الرحيم يا أمير المؤمنين، ما هو بنفور، ولكنه أبصر حولتك فظن أنها عين غزوان البيطار. فقال له هشام: تنحّ فعليك وعلى فرسك لعنة الله، وكان غزوان البيطار نصرانياً ببلاد حمص كأنه هشام في حولته وكشفته. المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٩٧.

٢ ـ كما أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك كان متزوجاً من عاتكة بنت عثمان بن محمد بن أبي سفيان، وهكذا فإن أمه سفيانية، وزوجته سفيانية لذلك لا غرابة من وقوف الفرع السفياني إلى جانبه. البلاذري، أنساب، ق٤، ج١، ص٦.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١٥. عن حوشب بن سيف بن أبو هبيرة، ويقال أبو روح السكسكي أنه خرج على جنازة من باب دمشق، ومعهم خالد بن يزيد فتنازعوا في الميت من حيث يدخلونه فقال بعضهم: أدخلوه من عند رجليه، فقال عمير بن عمير اليحصبي: هذه سنة النعمان ابن بشير في هذا الجند ما كنا نعرفها، فسمعه خالد بن يزيد، فقال: ليست بسُنّة النعمان بن بشير ولكنها سنة رسول الله محمد ﷺ: " إن لكل شيء باباً يدخل منه، وإن مدخل القبر من نحو الرجلين". ولا أظن باب دمشق المذكور في هذا الحديث إلا بحمص، فإن لها باباً يقال له باب دمشق. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٣٤٠. وأرجح أن هذه الرواية كانت بحمص بدليل ذكر ولاة حمص خالد بن يزيد والنعمان بن بشير، ولفظ الجند، كما اعتقد أن باب دمشق موجود في حمص في الطريق المؤدية إلى دمشق.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١٢. الأصفهاني، الأغاني، مج٧، ص١٦. ابن العديم، بغية الطلب، ج٨، ص٣٧٨١ ـ ٣٧٨٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٨٠.

وعندما عزم الوليد على البيعة لابنيه الحكم وعثمان سنة ١٢٥هـ /٧٤٢م، كان ذلك مما زاد في هوة النزاع داخل الفرع المرواني. وفي هذه الأثناء وقف الفرع السفياني إلى جانب الوليد بن يزيد في صراعه مع الفرع المرواني. حيث كان معه أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية، ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية[١]، وهؤلاء الأشخاص هم أخوال الوليد بن يزيد، وبالتالي فربما أنهم وجدوا في خلافته ما يعيد لهم حقوقهم وأمجادهم السالفة. أو على الأقل إنصافهم في المناصب الإدارية التي حرموا منها.

وبوفاة هشام بن عبد الملك، كتب الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك (والي حمص الأسبق) أن يأتي الرُّصافة، فيحصي ما فيها من أموال هشام وولده، فرد عليه العباس والي حمص، بتنفيذ أوامر الخليفة وذلك بأخذ بني هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام[٢].

ثم عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان من بعده، وجعلهما وليا عهده، وكتب بذلك إلى الأمصار[٣]، مما أدى إلى ظهور المعارضة للوليد.

وبالجملة فقد تزعم المعارضة ضد الوليد بن يزيد، يزيد بن الوليد ومن معه من أقاربه أبناء هشام بن عبد الملك[٤]. ويبدو أن أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية كان من كبار قادة الوليد بن يزيد عندما ثار يزيد بن الوليد، واستولى على دمشق، مما جعل الوليد بن يزيد يبعث أبا محمد السفياني إلى دمشق لمعرفة ما يجري فيها من الأحداث. غير انه على ما يروي المدائني كان قد انضم إلى يزيد بن الوليد وبايعه بالخلافة[٥]. وعند ذلك ومما يؤكد وقوف الفرع السفياني إلى جانب

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٤٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٨١.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١٥ـ ٢١٦.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١٨. اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣١.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٣٢. وحول حركة يزيد بن الوليد انظر: طلفاح (مضر)، حركة يزيد بن الوليد وأثرها على الدولة الأموية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٦م، ص٥٨ وما بعدها.

٥ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٤٣.

الوليد بن يزيد أنه وبعد أحداث دمشق، أشار يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على الخليفة الوليد بان يسير إلى حمص وينزل فيها[1].

وكان هشام قد استعمل عبد الملك بن القعقاع على حمص والوليد بن القعقاع على قنسرين، فضرب الوليد بن القعقاع ابن هبيرة مائة سوط، لتطبيق حد الإسلام عليه، فلما تولى الخلافة الوليد هرب بنو القعقاع منه، فبعث إليهم وأرسلهم إلى يزيد ابن عمر بن هبيرة، وكان على قنسرين، فعذبهم فمات بالعذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع، ورجلان معهما من آل القعقاع[2]. فغضب على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع، بما صنع، وأتوا يزيد بن الوليد ورغبوه بالبيعة، وكان عمرو بن يزيد الحكمي ممن أشار على يزيد بن الوليد باستشارة أخيه العباس بن الوليد، (والي حمص) باعتباره سيد بني مروان، ولما كان يتصف به من البأس والشجاعة[3]، "فإن بايعك لم يخالفك أحد، وإن أبى كان الناس له أطوع، فإن أبيت المضي على رأيك فأظهر أن العباس (أخوك ووالي حمص) قد بايعك"، غير أن العباس كان رافضاً لمسألة البيعة، وَقُتل الوليد[4]، وقال: "يا بني مروان؟ إني أظن أن الله قد أذن في هلاككم"[5].

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٤٣.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢١٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٣، ص٢٥٣. وتحولت نقمة اليمنية من صراع بينهم وبين القيسية إلى نقمة فاعلة محصورة بالخليفة بالذات، الذي عد مسؤولاً عن دم أهدر لا من إثارة عصبية قيسية ضده، والدليل على أن نقمة اليمانية انحصرت بالخليفة أن هذه النقمة لم تصدر عن اليمنية فحسب بل انضم إليهم القيسية من قبيلة عبس، لأن الخليفة بالنسبة إليهم مسؤول أيضاً عن نكبة آل القعقاع الذين هم منهم أيضاً. عاقل، خلافة بني أمية، ص٣٣٦.

٣ ـ الجاحظ، رسائل الجاحظ، ج١، ص٤٣٦. عيسى، النزاع بين أفراد البيت الأموي، ص١٤٧.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٣٧.

٥ ـ خليفة، تاريخ، ص٣٦٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٣٩. وفي سنة ١٢٦هـ/٧٤٣م، عم الوباء الشام فخرج الناس إلى البادية، وكان العباس عندها في القسطل. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٣٧. ابن العديم، زبدة الحلب، ص٦٠.

ولما بويع يزيد سنة ١٢٦هـ /٧٤٣م، سراً كان الأمر قد فشا إلى الوليد بن يزيد الذي دعا والي حمص أبا محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية السفياني، فأجازه إلى دمشق لمعرفة الخبر، فما كان من أبي محمد السفياني إلا أن بايع يزيد بن الوليد، وعندما علم الوليد بالخبر أشار عليه يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية قائلاً: "يا أمير المؤمنين سر حتى تنزل حمص فإنها حصينة، ووجه الجنود إلى يزيد فيقتل أو يؤسر". وهناك من أشار عليه بالنزول في تدمر، وكذلك البخراء قصر النعمان بن بشير، وهو حصين فوافق على البخراء[١].

وكان موقف أهل حمص أن جاء منهم خمسمائة فارس على رأسهم عبد الرحمن ابن أبي الحبون البهراني، ليقفوا إلى جانب الوليد، فوجه لهم الوليد الضحاك بن أبي أيمن بني عوف بن كلب، وطلب منهم الوليد بالاستعجال وبعد أن التقى بهم أتى البخراء[٢].

وكان على ميمنة الوليد معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن خالد، فقال لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك: "أتجعل لي عشرين ألف دينار وولاية الأردن والشركة في الأمر على أن أصير معكم؟ قال: على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك". ففعل وانهزم أصحاب الوليد[٣]. وقتل الوليد، وكان قائد يزيد عندها عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[٤]. وبالرغم من أن الوليد أرسل إلى عبد العزيز بن الحجاج يعرض عليه خمسين ألف دينار، ويجعل له ولاية حمص طعمة ما عاش، ويؤمنه على كل أمر[٥].

---

١ ـ خليفة، تاريخ، ص٣٦٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٤٣. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٨٥. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص١٤. الذهبي، دول الإسلام، ج١، ص٨٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٣، ص٣٣٧.

٢ ـ خليفة، تاريخ، ص٣٦٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٤٨. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٤٩. الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٢٨٠. مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص١٤٠.

٣ ـ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٥. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٥٠. ابن أعثم، الفتوح، ج٣، ص٢١١٣ ـ ٢١١٩.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٤٢. ابن قتيبة، المعارف، ص٣٦٨. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٢٩٢.

٥ ـ مجهول، العيون والحدائق، ج٣، ص١٤٣.

وكان العباس بن الوليد (والي حمص) قد خرج لملاقاة يزيد والوقوف إلى جانبه فاحتال له أخوه يزيد وأخذه وأخذ رايته وأعلم الناس بأنه بايع له مما جعل الناس يتفرقون عن الوليد[1].

فوثب أهل حمص بسبب ما قيل لهم عن موقف العباس بن الوليد وهدموا منزله وأظهروا الطلب بدم الوليد بن يزيد، حيث كان مروان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حمص، وكان من سادة بني مروان، فلم يعجب أهل حمص قتل الوليد، وسألوا عمن قتله فقال بعض من حضرهم: "مازلنا منتصرين من القوم حتى جاء خبر مبايعة العباس بن الوليد الذي مال إلى جانب عبد العزيز بن الحجاج، فوثب أهل حمص على دار العباس ونهبوها، وسلبوا حرمه، وأخذوا بنيه فحبسوهم وطلبوه، وكاتبوا الأجناد، ودعوهم إلى الطلب بدم الوليد، فأجابوهم، وكتب أهل حمص بينهم كتاباً؛ ألا يدخلوا في طاعة يزيد، وإن كان وليّا عهد الوليد حييّن قاموا بالبيعة لهما، وإلا جعلوها لخير من يعلمون؛ على أن يعطيهم العطاء من المحرّم ويعطيهم للذرية، وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين والياً على حمص، فكتب إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وهو بحمص، في دار الإمارة[2]، الذي أبلغ الخليفة يزيد بأمرهم، فما كان من يزيد إلا أن أرسل لهم رسلاً للتفاوض معهم، فباءت محاولتهم بالإخفاق، ووثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم، وكان معهم أبو محمد السفياني فقال لهم لو قد أتيت دمشق، ونظر إليّ أهلها لم يخالفوني. وعلى أثر ذلك وجه يزيد بن الوليد لهم جيشاً بقيادة سليمان بن هشام فنزل الجيش حوارين، وأقبل أهل حمص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية، وكان مع أهل حمص السمط بن ثابت[3].

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٤٦ـ٢٤٧. ابن الوردي، تاريخ، ج١، ص١٧٧. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص١٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٣، ص٣٣٩.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦٢ـ٢٦٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٣٠٧.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩٣. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٣٠٧.

وعندما حاول والي حمص مروان بن عبد الله أن يثني أهل حمص عن قتال أهل دمشق، لاقى حتفه مع ابنه، على يدهم، ولما قتل ولوّا عليهم أبا محمد السفياني، وأرسلوا إلى سليمان بن هشام: "إنا آتوك فأقم بمكانك". فخدعوا عسكر سليمان ومضوا إلى دمشق[1].

وكانت ردة فعل الخليفة يزيد أن دعا عبد العزيز بن الحجاج فوجهه في ٣٠٠٠ وأمره أن يثبت على ثنية العقاب[2]، ودعا هشام بن مصاد في ١٥٠٠ وأمرهم أن يمدوا بعضهم بعضاً، أما خطة أهل حمص العسكرية فكانت أن نزلوا السليمانيّة، ووقفوا في مكان حصين في منطقة يمينها بساتين زيتون، ويسارها جبال، والجبال خلفهم، وليس عليهم مأتى إلا من وجه واحد، وقد نزلوا أول الليل فأراحوا دوابهم، ومع قدوم النهار واشتداد الحر بدأ القتال بين الطرفين، فكان القتال مرة لهم ومرة عليهم، وتقدم أبو الهلباء البهراني وكان فارس أهل حمص، فدعا إلى المبارزة، إلى أن قتل، وخرج ثبيت بن يزيد البهراني للمبارزة فقتل أيضاً، وبينما الحال على ما هي عليه إذ أقبل عبد العزيز بن الحجاج من ثنية العقاب؛ فلما عاين عسكر أهل حمص، قال لأصحابه: "موعدكم التل الذي في وسط عسكرهم؛ والله لا يتخلف منكم أحد إلا ضربت عنقه". وكان يرمي أهل حمص بالمجانيق[3] إلى أن تمكن عبد العزيز من هزيمتهم، وأخذ أبي محمد السفياني ويزيد بن خالد بن معاوية فأسرهما في دمشق ثم اجتمع أمراء دمشق وبايعوا يزيد بن الوليد، وخرجوا إلى دمشق، وحمص وأعطاهم يزيد العطاء، وأجاز الأشراف ومنهم معاوية بن يزيد بن

---

١ ـ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٥. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٣٠٨.

٢ ـ العُقَابُ: فرجة في الجبل الذي يطل على غوطة دمشق من ناحية حمص، الحموي، معجم البلدان، مج٤، ص١٥٠.

٣ ـ التنوخي(أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن نزار الحلبي)، (٤٨٣ ـ٥٥٦هـ / ١٠٩١ ـ١١٦٠م): تاريخ العظيمي، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ، استخرجها وحققها إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ص٥٣.

الحصين بن النمير، والسمط بن ثابت، من أهل حمص، وعين معاوية بن يزيد بن حصين على أهل حمص، وقد قتل من أهل حمص يومئذ ثلاثمائة رجل[1].

وبعد بيعة أهل حمص تابع عبد العزيز بن الحجاج سيره لأخذ بيعة جند الأردن وفلسطين بمساعدة جند حمص، وذلك سنة ١٢٦هـ /٧٤٣م، حيث أمدهم الخليفة يزيد بسليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفياني، في عدد بلغ قرابة أربعة وثمانين ألفاً وتمكنوا من إخضاع الأردن وفلسطين وأخذ البيعة ليزيد[2].

وعلى أثر مقتل الوليد كتب مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، من أرمينية إلى الغمر بن يزيد أخ الوليد بن يزيد (المقتول)، بالطلب بدمه، وصادف ذلك وفاة يزيد بن الوليد سنة ١٢٦هـ /٧٤٣م[3]، فخلفه ابنه إبراهيم بن الوليد، ولم يتم له أمر الخلافة: "فكان يسلم عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالإمرة، وجمعة لا بالخلافة ولا بالإمرة". إلى أن جاء مروان بن محمد فخلعه من الخلافة[4].

وكان أهل حمص امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد عن مبايعة إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج من بعده ولي عهد[5]، فوجه إليهم الخليفة إبراهيم عبد العزيز بن الحجاج في جند أهل دمشق فحاصرهم في مدينتهم، وكان مروان قادماً من قنسرين، فلما اقترب من مدينة حمص، رحل عبد العزيز عنها، وسبب رحيله أن المضرية، قدموا إلى حمص، حيث كان فيها مروان بن محمد فبايعوه، وطلبوا منه المطالبة بثأر ابن عمه الوليد بن يزيد[6]. فخرج أهل حمص إلى مروان وبايعوه، لما

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦٤-٢٦٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص٣١٤-٣١٦.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٦٧. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٨٦. الخولاني، تاريخ داريا، ص٧٧.

٣ ـ وسمي يزيد الناقص لكونه نقص الجند في أعطياتهم، ووثب على الخلافة وقتل ابن عمه الوليد، وأمه شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد غير عربية. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٠٣.

٤ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٢٩٩. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٥٠. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٤٠٥.

٥ ـ خليفة، تاريخ، ص٢٤٠.

٦ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٢٢. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٩٦.

كان يوصف به من شجاعة وسخاء، ولوعوده لأهل حمص في مساعدتهم[1]. وساروا جميعهم معه وكانوا حوالي ٨٠ ألفاً لقتال سليمان بن هشام قائد إبراهيم بن الوليد في ١٢٠ ألفاً، فاستطاع مروان بحنكته العسكرية الانتصار في عين الجَرّ، وكان أهل حمص ناقمين عليهم فأشهروا عليهم السلاح وقتلوا منهم نحو ١٧ ألفاً[2]، وكان مروان قد طلب من سليمان إخراج الحكم وعثمان ابني الوليد من سجن دمشق، وبحلول هذه الهزيمة كان رأي بطانه إبراهيم بن الوليد قتل الحكم وعثمان، خشية أن يأتي مروان ويخرجهما، ويبايعهما بالخلافة في دمشق، فتم قتل الغلامين، وكان أبو محمد السفياني معهم في السجن غير أن هروبه من السجن أنقذه من القتل سنة ١٢٧هـ/٧٤٤م[3].

ولما دخلت جيوش مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد، غير أن مروان احتال في طلبه وأخذ بيعته[4]، فانتهب سليمان ما كان في بيت المال، وثار من في دمشق من موالي الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقتلوه. ودخل مروان دمشق وإذا بالغلامين قد قتلا، وجيء بأبي محمد السفياني فسلّم عليه بالخلافة، حيث أن أبي محمد السفياني أبلغ مروان: "أن الغلامين قد جعلاها لك بعدهما"[5]. وكان حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ممن سار في جند حمص

---

١ ـ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج٢، ص٢٨٨ .

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٠٠ـ٣٠١.

٣ ـ خليفة، تاريخ، ص٢٤٣. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٠٢. ابن قتيبة، المعارف، ص٢٠٦. ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص١٩٧. القضاعي، عيون المعارف، ص١٨٣. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٥١. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٨٧.

٤ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٢٢.

٥ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣١١. القضاعي، عيون المعارف، ص١٨٣. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٦، ص٥٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٥٣٠. القضاعي، تاريخ القضاعي، ص٢٤٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٥، ص٨٢.

للطلب بدم الوليد فقتل بدمشق[1]. ويزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[2].

ثم قال أبو محمد السفياني لمروان: ابسط يدك أبايعك، فكان أول من نهض وبايعه معاوية بن يزيد بن الحصين بن نمير ورؤوس أهل حمص ، واختار أهل حمص لولايتهم عبد الله بن شجرة الكندي، ولما استقام الأمر لمروان بن محمد طلب منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام الأمان فأمنهم، وكانت حواضر حمص ملجأ للساسة المتنفذين، إذ أن سليمان بن هشام كان متحصناً مع إخوته وأهل بيته في تدمر[3].

ثم ثار أهل حمص وسائر بلاد الشام في سنة ١٢٧هـ /٧٤٤م، على مروان بن محمد[4]، فحاربهم بعد خلافته بثلاثة أشهر فقد دعاهم ثابت بن نعيم، وأرسل أهل حمص إلى من بتدمر من كلب فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبي، وأبناؤه (حمزة وذؤالة وفرافضة)، ومعاوية السكسكي، وكان فارس أهل الشام، وعصمة بن المقشعر، وهشام بن مصاد، وطفيل بن حارثة،ونحو ألف من فرسانهم، فدخلوا مدينة حمص ليلة الفطر سنة ١٢٧هـ /٧٤٤م، وكان مروان في حماة فجاء في طلب أهل حمص، ووصل مدينتهم بعد الفطر بيومين، (بين حمص وحماه ثلاثون ميلاً، ٦٠كم)، وكانت قبيلة كلب قد تحصنت بحمص، فردموا الأبواب من الداخل إلا أن ذلك التحصن لم يحل دون فتح المدينة أمام مروان الذي دخل من باب تدمر، وانتصر على أهل حمص وقتل منهم عدداً كبيراً قدر بحوالي ٥٠٠-٦٠٠شخص، من بينهم ذؤالة وفرافضة ابنا الأصبغ، وكذلك السمط بن ثابت بن يزيد بن شرحبيل بن السمط[5]،

---

١ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢، ص٣١٤. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٨، ص٧٣.

٢ ـ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٥، ص١٦٩.

٣ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣١٢. اليافعي، مرآة الجنان، ج١، ص٢٠٩. الحموي، معجم البلدان، مج٢، ص١٧.

٤ ـ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٣٨. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٩٧. النمر، تراجم عظماء الدولتين، ص٩٠.

٥ ـ ابن سعد، الطبقات، ج٦، ص٢٣٨.

وهدم جزءاً من سور المدينة حتى لا يتحصنوا به ثانية[1]، وقتل الحمصيين واليهم عبد الله بن شجرة الكندي لميوله لمروان بن محمد[2].

وبقي مروان بحمص[3]، وأرسل جنوده لاستتباب الأمن في بقية الشام، ثم عاد إلى دمشق، بعد أن استقامت له الشام كلها إلا تدمر، وقد بلغ مروان أن أهل القسطل من أرض حمص ممايلي تدمر، بينهما مسيرة ثلاثة أيام، قد أغلقوا الآبار بالتراب والصخر، وأعلنوا العصيان، فكان الأبرش بن الوليد قد استشفع فيهم عند مروان، وطلب منه السماح له بمحادثتهم، فأجابه عامة أهل حمص، وهرب من لم يثق به منهم إلى برية كلب وباديتهم، فكتب مروان إلى الأبرش بعد علمه خبرهم أن اهدم سور مدينتهم، واحضر لي من بايعك من أهل حمص، ففعل[4].

ثم انقلب سليمان بن هشام سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م، على مروان بن محمد وأعلن خلعه وجند جيشاً بعد أن أذن له مروان بالانصراف عن مرافقته نحو الرقة حيث كان يقيم مروان، وفي الوقت الذي هزم فيه جيش سليمان من قبل مروان كان سليمان قد دخل حمص قادماً من قنسرين فعسكر بها وبنى ما كان مروان أمر بهدمه من أسوارها، وكان رأي أهل حمص موافقاً لسليمان قائلين: حتى متى نهزم من مروان! هلموّا فلنبايع على الموت ولا نفترق بعد معاينته حتى نموت جميعاً. وكان عددهم نحو ٩٠٠ شخص[5].

---

١ ـ خليفة، تاريخ، ص٢٤٤. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣١٢ـ٣١٣. ابن العديم، بغية الطلب، ج٤، ص١٩٤٢. أبو الفداء، المختصر، ج١، ص٢٨٧. واستغلت الروم هذه الأوضاع وأغارت على مرعش وقنسرين. ابن العديم، بغية الطلب، ج١، ص٢٣٦.

٢ ـ اليعقوبي، تاريخ، ج٢، ص٣٢٥.

٣ ـ الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣٢٨. الشمري (صالح حسن): الخلافة الأموية من ١٢٥هـ ـ ١٢٨هـ (الفتنة الثالثة)، دراسة سياسية، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٧م، ص١٤٣ ـ١٦٤.

٤ ـ وكان من بينهم الأصبغ بن ذؤالة، وابنه حمزة وجماعة من رؤوسهم. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣١٤ـ٣١٥. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٢٩٧. فأخذ مروان بن محمد الأصبغ وجماعته وصلبهم بحمص. ابن حبيب، المحبر، ص٤٨٤.

٥ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٢٥. دكسن (عبد الأمير): الانقسامات في البيت الأموي، (١٢٥ ـ ١٣٢هـ

ووضع سليمان خطة عسكرية فولى على شطرهم معاوية السكسكي وعلى الشطر الثاني ثبيتاً البهراني فتهيئوا له وكمنوا في زيتون قرية تل منسّ غير أن أهل حمص انهزموا وعادوا إلى سليمان فخلف على أهل حمص أخاه سعيد بن هشام في مدينة حمص، وكان ثبيت البهراني قد هرب من مروان وعرف أن لا طاقة له به، ومضى إلى تدمر فأقام بها ونزل مروان على حمص فحاصرهم بها عشرة أشهر، ونصب عليها ما يقارب ٨٠ منجنيقاً، فقذف عليهم حجارتها بالليل والنهار، وهم في ذلك يخرجون كل يوم فيقاتلونه، فلما اشتد الحصار طلب أهل حمص من مروان أن يؤمنهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيه عثمان ومروان، ومن رجل يسمى السكسكي، كان يغير على عسكرهم، ومن حبشي كان يشتمه ويغير عليه، فأجابهم على ذلك وأجابوه[1].

وفي سنة ١٣٢هـ /٧٤٩م، وأثناء مرور مروان بن محمد من حران والجزيرة إلى قنسرين مضى إلى حمص فتلقاه أهل الأسواق بالسمع والطاعة، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم غادرها، فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه وقالوا: مرعوب منهزم، واتبعوه بعد ما رحل عنهم، فلحقوه على أميال، فلما رأى هجوم خيلهم كمن لهم في واديين نفر من مواليه وحاصروهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً[2].

وكان أبو الورد مجزاة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي من أصحاب مروان وقواده فلما انهزم مروان وأبو الورد بقنسرين قدمها عبد الله بن علي وهو أحد قادة أبو العباس السفاح، فبايعه ودخل وجنده في طاعته، خوفاً على نفسه وعلى جنده، وكاتب أهل حمص وتدمر، فقدم عليه ألوف عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان فرأسوا عليهم أبا محمد، ودعوا إليه وقالوا:

/ ٧٤٢ ـ ٧٥٠م)، وأثرها في نهاية الخلافة الأموية في بلاد الشام، مجلة المؤرخ العربي، تصدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، دولة المقر، بغداد، العدد ٤٦ ـ ٤٧، السنة ١٩، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، ص١٧٥ـ١٧٦.

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٣٢٦ـ٣٢٧. ابن العديم، بغية الطلب، ج٦، ص٢٨٨٩.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٣٨. قدامه بن جعفر، الخراج، ص٣١٩.

هو السفياني. واجتمع أهل قنسرين وحمص لقتال عبد الصمد بن علي أخ عبد الله بن علي أحد قادة أبو العباس السفاح،وعند اشتداد القتال الذي استمر قرابة أربعين يوماً هرب أبو محمد السفياني ومن معه من قبيلة كلب، حتى لحقوا بتدمر ثانيةً، وأمن عبد الله أهل قنسرين، وسودوا وبايعوه[1].

وكان مروان بن محمد قد أخضع تدمر بعد تحصين أهلها غير أن الأخطار كانت قد استفحلت من جميع الجبهات، ولم يتمكن مروان بن محمد من الصمود.

أما أهل حمص فإنهم آثروا أبي محمد السفياني فلما بلغتهم هزيمته[2] أقاموا شعبية وتأييداً للفرع السفياني في حمص، وربما يعود ذلك إلى أن هذه المنطقة كانت تمثل قاعدة سفيانية قوية. وبالنسبة لقرية خالد بن يزيد فقد صمتت المصادر الجغرافية عن تحديد موقعها واكتفت بذكرها بحمص، وإن مناقشة بعض الروايات قد تقود لحل نسبي. فقد ذكر ابن الكلبي: "وكان خالد بن يزيد على حمص فبنى مسجدها وكان له أربعمائة عبد يعملون في المسجد، فلما فرغوا من بنائه أعتقهم، ويبدو أن نسل خالد بن الوليد قد انقطع فحتماً أن عرب بني خالد اليوم في بادية حمص وحماه، ليسو من ولد خالد بن الوليد المخزومي كما يدعون، ويعتقد أن أصلهم عبيد خالد بن يزيد الأربعمائة، الذين أعتقهم يوم انتهى من بناء المسجد، وقد عاشوا في بادية حمص، وهرباً من كلمة عبيد خالد قيل لهم بنو خالد، ومع تطاول الزمن وعدم الكتابة في نسب القبائل كثر الانتماء إلى قريش دون الرجوع إلى كتب النسب، وعلى مرور الزمن لحقت بهم بطون كثيرة من القبائل الأخرى، فنسبوا إليهم، وإذا سألت اليوم أي بدوي يقول : بطن الرولة من عرب الموالي، وبطن الشقرة من عرب بني خالد، ويعتقد أن الشقرة هذه التي في بني خالد ما هي إلا القشرة، ولكن صحفت على طول الزمن"[3].

ومفاد هذه الرواية أن خالد بن يزيد بنى مسجداً واستعان بعدد كبير من العمال

---

١ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٤٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٥، ص١٦٨.

٢ ـ الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٤٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٧، ص٤٧.

٣ ـ ابن الكلبي، نسب معد، ج١، ص١٩٦.

قدر بـ ٤٠٠ شخص، وهؤلاء كانوا يعرفون بعبيد خالد، وصمتت المصادر عن مكان هذا المسجد، كما صمتت المصادر عن مكان إقامة هذا العدد من العمال الأربعمائة، فربما أن هؤلاء العمال كانوا يقيمون بالقرب من المسجد المنوي إقامته ومن ثم أطلق على مركز إقامتهم لفظة قرية خالد.

كما أن ورود لفظة حي الخالديين لدى ابن عساكر[١] في هذه الحقبة، وبعد ولاية خالد بن يزيد على حمص، يؤكد وجود حي يعرف بهذا الاسم، وربما أن حي الخالديين هو نفسه قرية خالد بن يزيد بن معاوية، لأن لفظ الخالديين جمع لخالد بن الوليد حيث كان يقيم، ويوجد قبره، وعبيد خالد، وإن هذا الحي كان يمثل مقر إقامة الوالي فهو لا يبعد عن سور حمص ٣كم تقريباً.

وتشير أغلب الروايات أن خالد بن يزيد بن معاوية بعد أن فقد منصب الخلافة في أعقاب الجابية، وبعد أن تزوج مروان بن الحكم أمه وبايع لابنه عبد الملك بعد هذه الأحداث قيل أن خالداً وضع حديث السّفياني[٢]، "وأراد أن يكون للناس فيه طمع"[٣]. وقد بدأت الفكرة تظهر على الصعيد السياسي بعد قيام الدولة العباسية رداً على ظلم العباسيين، وتشويه صورة الأمويين[٤].

وبالجملة فقد نادى بحركة السّفياني مجموعة من أبناء الفرع السفياني وبصورة متتابعة فمن هؤلاء: أبا محمد السفياني (والي حمص) الذي أعلن ذلك في بلاد الشام، بمساندة أبي الورد، غير أن الدولة العباسية قمعت هذه الحركة سنة ١٣٣هـ /

---

١ ـ حيث ذكر إقامة والي حمص الحجاج بن علاط السلمي وابنه خالد بحمص في حي الخالديين. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢، ص٣٦٣.

٢ ـ المصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٢٩.

٣ ـ ويقول الأصفهاني: وهذا وهم من مصعب فإن السّفياني رواه غير واحد، وتتابعت رواية الخاصة والعامة. ولمزيد من التفاصيل حول حركة السّفياني. انظر: الأصفهاني، الأغاني، مج١٧، ص٢٥٨ـ٢٥٩. ابن العديم، بغية الطلب، ج٧، ص٣١٨٤. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١، ص٢٩٣. الذهبي، تاريخ، ج٦، ص٥٨. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١، ص٢٨٤.

٤ ـ المناصير (محمد عبد الحفيظ): الجيش في العصر العباسي الأول (١٣٢ـ٢٣٢هـ)، مطبعة بحدلاوي، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م، ص٤٨٧.

٧٥٠م[١]، وعلى أثر إخفاق هذه الحركة تحرك في العام نفسه العباس بن محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وأعلن أنه السّفياني، غير أن هذه الحركة كان نصيبها كسابقتها الإخفاق[٢]. ثم تزعم هذه الحركة علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية الذي يعرف بأبي العميطر السّفياني، وطالب بالخلافة سنة١٩٥هـ/ ٨١٠م[٣]، غير أنها أخفقت كذلك إثر كبحها على يد الدولة العباسية.

وبالجملة فإن حركة السّفياني كانت تلاقي الدعم والتأييد والمؤازرة من بلاد الشام[٤]، وتحديداً حمص.

وفي الوقت الذي اندلع فيه الصراع داخل الأسرة المروانية ١٣٢هـ/ م، ظهرت الرايات السود بقيادة أبو مسلم الخراساني، وسارت الدولة الأموية إلى الزوال في أعقاب هزيمة مروان بن محمد ومقتله في معركة الزاب ١٣٢هـ/ ٧٤٩م[٥]، وبذلك انتهت حقبة حكم الدولة الأموية وقامت الدولة العباسية[٦].

---

١ ـ لمزيد من التفاصيل انظر: البلاذري، أنساب، ق٣، ص١٦٩ـ١٧٠. الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٤٤. المقدسي، البدء والتاريخ، ج٢، ص١٧٧. وقيل إن زياد بن عبد الله الأسور بن يزيد بن معاوية سجنه الوليد بن عبد الملك لقيامه مع الوليد بن يزيد، فلما استخلف مروان أطلقه ثم حبسه ثم أطلقه، وخرج بقنسرين ودعا إلى نفسه، وتبعه ألوف الناس، وقالوا: هو السّفياني ثم أنه عسكر، وحارب بني العباس في أول دولتهم، فالتقى هو وعبد الله بن علي فهزمه عبد الله فانسحب واختفى بالمدينة مدة، ثم قتل في خلافة المنصور في المدينة، السخاوي، التحفة اللطيفة، ج١، ص٣٦٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٩، ص١٥٣ـ١٥٥. ابن العديم، بغية الطلب، ج٩، ص٣٩٢٧ـ٣٩٣٢.

٢ ـ لمزيد من التفاصيل انظر: ابن العديم، زبدة الحلب، ج١، ص٥٦. الشوحة (خلدون): موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م، ص٨٩.

٣ ـ حول حركة أبو العميطر السفياني: انظر: ابن حزم الأندلسي، رسالة نقط العروس، ج٢، ص٥٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٣، ص٣٤٢ .

٤ ـ انظر: المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٠٨.

٥ ـ لمزيد من التفاصيل انظر: الطبري، تاريخ، ج٧، ص٤٣٢ وما بعدها. القضاعي، عيون المعارف، ص١٨٤. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص٣٠١ ـ٣٠٨. ابن الطقطقي، الفخري، ص١٣٥ ـ١٤٧. الذهبي، العبر، ج١، ص١٣٤.

٦ ـ انظر: علبي (أحمد): العهد السري للدعوة العباسية أو من الأمويين إلى العباسيين، مكتبة

وقد تناول الكثير من الباحثين أسباب سقوط الدولة الأموية وبينوا أن سقوطها لم يكن بالدرجة الأولى نتيجة النزاع بين أفراد البيت الأموي، وإنما لمجوعة كبيرة من الأسباب، فيروي ابن عبد البر: "سئل رجل من بني أمية عاقل، فقيل له: أخبرنا عن أول شيء كان بدء زوال ملككم، فقال: سألت فاسمع، وإذا سمعت فافهم، تشاغلنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا، ووثقنا بوزراء آثروا مرافقهم على منافعنا، وأبرموا أموراً أسروها عنا، فظلمت رعيتنا، ففسدت نياتهم لنا، وجدب معاشنا فخلت بيوت أموالنا، وقل جندنا، فزالت هيبتنا، واستدعاهم أعداؤنا علينا، وكان أكثر الأسباب في ذلك استتار الأخبار عنا"[1].

وبعد سقوط الدولة الأموية تتابعت المطالب السفيانية بالخلافة، وتمثل ذلك بما يعرف بالسّفياني، إذ استغل أبناء آل أبي سفيان هذا اللقب، بعد أن كان له وسائل دعائية تدعمه وتؤيده، ممثلة بالأحاديث والنبوءات، لذلك ظهرت شخصيات سفيانية تطالب بإعادة الخلافة السفيانية.

وقد كانت ثورات الحمصيين من الأسباب التي أضعفت الجبهة الداخلية في

الفارابي، بيروت، ١٩٨٧م، ص٦٥-١٠٦.

١ - بهجة المجالس، مج١، ق١، ص٣٥١. وقال ابن حزم الأندلسي: "وانقطعت دولة بني أمية، وكانت دولة عربية، لم يتخذوا قاعدة، إنما كان سكنى كل امرئ منهم في داره وضيعته التي كانت له قبل الخلافة، ولا أكثروا احتجان الأموال، ولا بناء القصور، ولا استعملوا مع المسلمين أن يخاطبوهم بالتمويل ولا التسويد، ويكاتبوهم بالعبودية، والملك، وإنما كان غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية، والعزل في أقاصي البلاد، فكانوا يعزلون العمال، ويولون الأُخر، في الأندلس وفي السند، وفي خراسان، وفي أرمينية، وفي اليمن، فيما بين هذه البلاد إلى أن تغلب عليهم بنو العباس، فسار منهم عبد الرحمن بن معاوية إلى الأندلس وملكها وهو وبنوه من بعده، وقامت بها دولة بني أمية نحو الثلاثمائة سنة". رسالة أسماء الخلفاء، ج٢، ص١٤٦. المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٢٤١. الثعالبي (عبد العزيز): سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، تحقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٥م، ص٤١-٥١. المراكشي، البيان المغرب، ج٢، ص٣٩-٤٠. وانظر:

http:// www. Damascus - online. Com/ Arabic/ se a/ histroy/ umayyads Htm. P١.

http://www. acatap Htmlplanet. Com/ arabizaion- j/ accessories/ jour-٢.htm,p٨.

نهاية العصر الأموي، وهيأت الفرصة لقيام الدولة العباسية.

أما علاقة حمص مع الدول غير الإسلامية ـ الروم ـ فلم تتعدَ سياسة العاصمة دمشق طيلة حقبة الدراسة، فقد كانت تتلقى الأوامر من دمشق لغزو الروم براً وبحراً، مما سبق الحديث عنه في الفصل الثاني، ولم تقم حمص أي علاقة خارجية لها ولا تشير المصادر إلى وجود علاقة بين حمص والروم، آنذاك، فبالرغم مما وقع من خلاف بين المسلمين إلا أنهم كانوا يداً واحدة في التصدي للعدوان الخارجي.

obeikandl.com